

**دُور وِلطائف
من القرآن الكريم**

محمد رمضان الجبور

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2020/6/1623)

225

الجبور ، محمد رمضان
درر ولطائف من القرآن الكريم/محمد رمضان الجبور -. عمان:
دار الأبرار للنشر والتوزيع، 2020

() ص
ر . أ. : 2020/6/1623
الواصفات: /الفاظ القرآن// بلاغة القرآن// تفسير القرآن// القرآن
الكريم /
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه، ولا
يعبر هذا المصنف
عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أية جهة حكومية أخرى.

تصميم الغلاف: محمود فريد ذياب

مراجعة: الأديب الشاعر أحمد الحسن أبو الأنير

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

دار الأبرار للنشر والتوزيع

العبدلي - عمان - الأردن

Daralabrar2015@gmail.com

الاصراء

إلى أصفهاني

صبيح محمود ، حمزة إبراهيم ، حملا محمود ، شهر محمود ، ناللا إبراهيم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِیْ اَنْزَلَ عَلٰی عَبْدِهِ الْكِتٰبَ وَلَمْ

یَجْعَلْ لَّهُمْ عِوَجًا ﴿ۛ﴾ الكهف: ۱

أسماء وألقاب سمّى الله تعالى بها القرآن:

ذكر علماء القرآن والتفسير عدة أسماء وألقاب سمّى الله تعالى بها القرآن، وعبر بها عنه ويمكن تصنيف تلك الأسماء إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى :

• وهي طائفة من الأسماء التي تشير إلى ذات الكتاب وحقيقته، وهي:

• الكتاب: قال تعالى: ﴿الرِّبَّكَاءِ أَيُّتُ الْكَذِبِ الْمُبِينِ﴾

يوسف: 1

• القرآن: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾ الإسراء: 9

• كلام الله: قال تعالى: ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾

التوبة: 6

• الروح: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾

الشورى: 52

• التنزيل: قال تعالى: ﴿وَلَهُمُ لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الشعراء: 192

- الأمر: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ الطلاق: 5
- القول: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ القصص: 51.
- الوحي: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْزَرْنَاكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ الأنبياء: 45.

المجموعة الثانية:

- وهي الطائفة التي تشير إلى صفات القرآن الذاتية.
- وذلك كالأسماء التالية:
- الكريم: قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَرِيمٌ﴾ الواقعة - 77.
- المجيد: قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ البروج - 21.
- العزيز: قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِنْدٌ عَزِيزٌ﴾ فصلت - 41.
- الحكيم والعلي: قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الزخرف - 4.
- الصدق: قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ الزمر - 33.

• الحقّ: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾

آل عمران - 62.

• المبارك: قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾

ص - 29.

• العَجَبُ: قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ الجن - 1.

• العلم: قال تعالى: ﴿وَلِيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ

الْعِلْمِ﴾ الرعد - 37.

المجموعة الثالثة:

• وهي الطائفة التي تشير إلى صفات القرآن التأثيرية، والمتجسدة في علاقة القرآن بالناس.

• وهي الأسماء التالية:

• الهدى: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

البقرة - 2.

• الرحمة: قال تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾

لقمان - 3.

- الذكر: قال تعالى: ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾ الأنبياء - 50.
- الموعدة: قال تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران - 138.
- الشفاء: قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ الإسراء - 82.
- التذكرة: قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴾ المدثر - 54.
- المبين: قال تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ يوسف - 1.
- البلاغ: قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَكِيدِينَ ﴾ الأنبياء - 105.
- البشير والنذير: قال تعالى: ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ فصلت - 4.
- البصائر: قال تعالى: ﴿ هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ ﴾ الجاثية - 20.
- البيان: قال تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ آل عمران - 138.
- النور: قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ النساء - 174.

سورة البقرة

يا ابن آدم كيف يرق قلبك وإنما همتك في آخر
السورة؟! (الحسن البصري/ مختصر قيام الليل
للمروزي)

الجسم .. و..الجسد

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ
مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمَلَكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ
يُوتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ
بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: 247.

طالوت: طلب بنو إسرائيل من نبي لهم يقال أنه
(صموئيل) أن يختار لهم ملكا يوحد كلمتهم ويجمع
جيوشهم لهزيمة العماليق والكنعانيين الذي نجحوا في
انتزاع التابوت الذي ورثه بنو إسرائيل من عهد موسى
وهارون، وقد أخبر النبي صموئيل بني إسرائيل أن الله
سبحانه وتعالى قد اختار لهم ملكاً اسمه طالوت وهو
رجل بسيط من بني إسرائيل قد آتاه الله الحكمة والعلم،

كما آتاه القوة البدنية والحنكة العسكرية، وقد ظنّ بنو إسرائيل أن الاختيار للملك سيكون على معايير الغنى والمال والجاه، فأكد لهم نبيهم أن الله يؤتي ملكه من يشاء من عباده. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مِّنْ شَجَرَةٍ يُحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنَلَّهُمُ اللَّهُ أَنْ يُؤَفِّكَوْنَ﴾ المنافقون: 4

يقول جلّ ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورها (وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ) يقول جلّ ثناؤه: وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطقهم منطلق الناس (كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مِّنْ شَجَرَةٍ) يقول كأن هؤلاء المنافقين خشب مسندة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول.

وقوله: (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) يقول جلّ ثناؤه: يحسب هؤلاء المنافقون من خبثهم وسوء ظنهم، وقلة يقينهم كلّ صيحة عليهم، لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمرا يهتك به أستارهم ويفضحهم، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذرا ربيهم، وأخذ أموالهم، فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي على رسوله، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطبهم. يقول الله جلّ ثناؤه لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هم العدو يا محمد فاحذرهم، فإن

ألسنتهم إذا لُقوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم، فهم عين لأعدائكم عليكم.

وقوله: (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) يقول: أخزاهم الله إلى أي وجه يصرفون عن الحق.

الجسم .. و .. الجسد : كلمتان متقاربتان في الحروف والمعنى، ولكن ما الفرق بينهما، يقال : الجسم : إذا كان فيه حياة وروح وحركة، والجسد : التمثال الجامد أو البدن بعد وفاته وخروج روحه.

قال الله تبارك وتعالى عن « طالوت » مبيناً مؤهلاته ليكون ملكاً على بني إسرائيل :

قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ. وقال تعالى عن اهتمام المنافقين بأجسامهم على حساب قلوبهم: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مَّسْنَدَةٌ.

الآيتان تتحدثان عن الأحياء، فطالوت ملك حي، والمنافقون أحياء يتكلمون.

أما كلمة «جسد» فإنها تعني: البدن جثة هامة، قال تعالى عن ابن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام، الذي ولد ميتاً مشوهاً: وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ .

كما وصف القرآن العجل (التمثال) الذي صنعه (السامري) من الذهب لبني إسرائيل، ودعاهم إلى عبادته، مستغلاً غيبة موسى عليه السلام، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ الاعراف 148. وبهذا نكون قد علمنا الفرق بين الجسم والجسد.

الْكُرْه...و...الْكُرْه

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة (216).

الْكُرْه...و...الْكُرْه: كلمتان متقاربتان في البناء والتركيب والحركات، ومتقاربتان أيضاً في المعنى. فالْكُرْه: المشقة المرغوبة، كتكليف القتال الشاق على النفس، ولكن النفس المؤمنة ترغبه وتطلبه رغم مشقته وصعوبته، لذلك وصف بأنه (كُرْه) (بضم الكاف، أي ثقيل وشاق، ولكنه مرغوب ومطلوب مراد للمجاهدين الصادقين، وذلك لثماره الإيجابية في الدنيا والآخرة ولما كان حمل المرأة شاق صعب متعب مرهق، يضعف جسمها، ويؤثر في أعصابها ونفسيّتها، وقد يصيبها بالأمراض أو تودي بحياتها.

علاوة على ذلك آلام المخاض، وأوجاع الطلق، ومشقة الولادة، ولكن رغم كل هذا فالمرأة ترغب في الحمل والإنجاب، وتستعذب هذه المشاق، وتطلب الحمل وتريده!!

ولهذا عبّر القرآن الكريم عن حملها ووضعها بأنه «كُرِه» أي مشقة وصعوبة وثقل، فيه آلام وأوجاع وأخطار، لكنه مرغوب ومطلوب لدى المرأة، مقرونة باللذة والشوق، قال الله تعالى: **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا. الاحقاف (15).**

فسبحان من جعل الحمل والإنجاب حاجة فطرية، في كل امرأة سليمة سوية، لتستمر الحياة!!

والكره : وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم خمس مرات، بمعنى : الإكراه والإجبار والقسر ، قال الله تبارك وتعالى : **ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ.** وقال عز وجل: **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَالَهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ.الرعد (15)** فالكافر أسلم لله رغم أنفه، وهو كاره رافض، لذلك اعتبر استسلامه «كرها» بفتح الكاف.

ويسجد لله مكرهاً مجبراً، وليس هكذا استسلام المؤمن لله، ولهذا وصفه القرآن الكريم بأنه «طوعاً» وجعله مقابلاً ومضاداً لاستسلام الكافر وخضوعه الجبري لله تبارك وتعالى.

حتى إنفاق المنافقين لأموالهم رغم أنوفهم، إنفاق بسبب القسر والإكراه، وذلك لأنهم يريدون به التموية على المسلمين، ولهذا وصف الله إنفاقهم بأنه «كْرَه» وأمرنا أن نقول لهم:

"قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ". التوبة (53).

ونهى القرآن الكريم عن وراثة المرأة كالمحتاج والأثام فقال تعالى:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا". النساء (19).

فقد كان الجاهلي إذا مات أبوه، ورث أمواله ومناعه، ومن جملة ما يرث زوجة أبيه، فنهى الله تعالى عن هذا التصرف الجاهلي البشع وحرّمه عليهم، والمرأة ترفض هذا التصرف وتكرهه، لأنه إجبار وقسر لها ولذا سماه

الله تعالى في القرآن الكريم «كْرهًا» بفتح الكاف.
وقال الإمام الراغب الأصفهاني: الكْرُه: المشقة التي تنال
الإنسان من خارج ، فيما يُحْمَلُ عليه بإكراه، والكْرُه: ما
يناله من ذاته، وهو يعافه.

قل....

وأنتم تقرؤون القرآن تجدون بعد كل سؤال في القرآن
قول : (قل)، إلا موضع واحد انتفت فيه الوسطة وهو
موضع التوحيد والعبادة وأنه ليس بين الله وعباده وسائط
قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ
دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يُرْشَدُونَ ﴾ سورة البقرة (186) ولم يقل قل فَإِنِّي قَرِيبٌ
وإليكم المواضع التي ذُكر فيها (قل).

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ
مَوْقِفَتُ لِلنَّاسِ ﴾ البقرة 189. وقال الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ
مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ ﴾. البقرة 215.

وقال الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ
فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ سورة البقرة 217. وقال الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ

عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا
أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ سورة البقرة 219.

"قل قتال فيه كبير"

* ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن
سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ
اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْبِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن
دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فِمَتَّ وَهُوَ
كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ البقرة 217

من الآيات القرآنية التي تتناول بعض أحكام القتال نقرأ
قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ
كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ
مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة 217 . وهذه
الآية تضمنت عدداً من اللطائف الجديرة بالتأمل
والتفكير .

يذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش الأسدي رضي الله عنه على سرية في شهر جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة؛ ليرصد قافلة لقريش، فيها عمرو ابن عبد الله الحضرمي وآخرون معه. فانطلقت السرية لشأنها، وقتلت الحضرمي، وأسرت اثنين ممن كانوا معه. وصادف ذلك أول يوم من شهر رجب، وهو أحد الأشهر الحرم. فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام - ولم يكن من عادة العرب القتال في الأشهر الحرم - فعظم ذلك على المسلمين، خاصة الذين كانوا في هذه السرية، فنزلت الآية.

إذا عرفنا السبب الذي نزلت الآية لأجله، نتبع ذلك ببعض اللطائف التي تتضمنها هذه الآية الكريمة: اللطيفة الأولى: في تقديم قوله تعالى: (الشهر الحرام)، على قوله سبحانه (قتال فيه)، ففي هذا التقديم فائدة، وهي بيان أن المسئول عنه إنما هو (الشهر الحرام)، وليس (القتال)، وتقدير الكلام: يسألونك عن الشهر الحرام، يسألونك عن قتال فيه، فالمسئول عنه في الآية الشهر الحرام، وليس القتال.

ولو قال: (يسألونك عن قتال في الشهر الحرام) لكان المسئول عنه القتال فحسب دون ما يُنتهك به الشهر الحرام. وقد دل سبب نزول هذه الآية أن السؤال لم يقع إلا بعد

وقوع القتال في الشهر الحرام، وتشنيع الكفرة انتهاك حرمة الشهر، فاهتمامهم بالسؤال إنما وقع من أجل حرمة الشهر؛ فلذلك قُدِّم في الذكر. فتقديم (الشهر الحرام)؛ لعموم حرمة القتال فيه، وشمولها لكل مخالفة من قتل أو غيره، ثم أبدل منه (قتال فيه)؛ لكونه سبب السؤال، فجمع بين الأمرين، قال ابن عاشور: " وإنما اختير طريق الإبدال هنا، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: يسألونك عن القتال في الشهر الحرام؛ لأجل الاهتمام بالشهر الحرام؛ تنبيهاً على أن السؤال لأجل الشهر أيقع فيه قتال؟ لا لأجل القتال هل يقع في الشهر... لكن التقديم لقضاء حق الاهتمام".

اللطيفة الثانية: في تنكير قوله تعالى: (قتال فيه)؛ وذلك ليدل على أن المراد القتال، ولو كان قليلاً، كما حصل في سبب نزول هذه الآية، حيث لم يُقتل إلا كافر واحد، ولو قال: (القتال) بالتعريف لظن أن المقصود القتال العظيم، باعتبار (أل) دالة على الكمال، أو أنه القتال المسئول عنه. وهو ما كان سبباً في نزول الآية، باعتبار (أل) للعهد، لكن تنكيره دل على أن المقصود أي قتال مهما كان شأنه وحجمه.

ولعدم دلالة النكرة على الكثرة، ونظراً إلى احتياجه إلى الدلالة عليها في الجواب، وصفه بما يدل عليه، فقال: (قل قتال فيه كبير).

اللطيفة الثالثة : الفائدة في تكرار كلمة (قتال)، مع إمكان أن يقال: (قل: هو كبير)؛ وذلك أن التصريح به دون الإضمار، وصول إلى الدلالة على عموم الحكم لكل قتال، ولو جاء مضمراً لاختص الحكم بتلك الحادثة التي وقعت في سرية عبد الله بن جحش .

قال الرازي في هذا الخصوص: "اللفظ إذا تكرر وكانا نكرتين كان المراد بالثاني غير الأول. والقوم أرادوا بقولهم: (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه)، ذلك القتال المعين الذي أقدم عليه عبد الله بن جحش، فقال تعالى: (قل قتال فيه كبير). وفيه تنبيه على أن القتال الذي يكون كبيراً ليس هو هذا القتال الذي سألتم عنه، بل هو قتال آخر؛ لأن هذا القتال كان الغرض منه نصرة الإسلام وإذلال الكفر، فكيف يكون هذا من الكبائر؟ إنما القتال الكبير هو الذي يكون الغرض منه هدم الإسلام، وتقوية الكفر، فكان اختيار التنكير في اللفظين لأجل هذه الدقيقة، إلا أنه تعالى ما صرح بهذا الكلام؛ لئلا تضيق قلوبهم، بل أبهم الكلام بحيث يكون ظاهره كالموهم لما أرادوه، وباطنه يكون موافقاً للحق، وهذا إنما حصل بأن ذكر هذين اللفظين على سبيل التنكير، ولو أنه وقع التعبير عنهما أو عن أحدهما بلفظ التعريف لبطلت هذه الفائدة الجليلة ."

هذه بعض اللطائف التي تضمنتها هذه الآية الكريمة، وهي بالطبع لطائف تستحق التأمل والتدبر- كشأن القرآن كله-، وتدل على عظمة هذا القرآن، وأنه **تَزِيلُ**

الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿يس:5﴾

أُمَّةٌ وَسَطًا

• ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۗ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة 143

• عدد آيات سورة البقرة 286 آية نصف هذا العدد هو رقم الآية 143. قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) فهي وسط في السورة ووسط في الأمة..

الصوم

- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة: 183-184]

- قال الفخر الرازي: قوله تعالى: (كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ)... يعني: هذه العبادة كانت مكتوبة، واجبة على الأنبياء والأمم، من لدن آدم إلى عهدكم، ما أخلى

الله أمةً من إيجابها عليهم لا يفرضها عليكم وحدكم،
وفائدة هذا الكلام؛ أنّ الصوم عبادة شاقة، والشيء الشاق
إذا عمَّ سهل تحمُّله)

- وقال أيضاً: قال القفال رحمه الله: (انظروا إلى عجيب
ما نبّه الله عليه من سعة فضله ورحمته، في هذا
التكليف، وأنّه تعالى بيّن في أوّل الآية، أنّ لهذه الأمة في
هذا التكليف أسوة بالأمة المتقدمة، والغرض منه ما
ذكرنا أنّ الأمور الشاقة إذا عمّت خفّت، ثم ثانياً بيّن
وجه الحكمة في إيجاب الصوم، وهو أنّه سبب لحصول
التقوى، فلو لم يفرض الصوم لفات هذا المقصود
الشريف، ثم ثالثاً: بيّن أنّه مختص بأيام معدودة، فإنّه لو
جعله أبداً، أو في أكثر الأوقات، لحصلت المشقة
العظيمة، ثم بيّن رابعاً: أنّه خصه من الأوقات بالشهر
الذي أنزل فيه القرآن، لكونه أشرف الشهور بسبب هذه
الفضيلة، ثم بيّن خامساً: إزالة المشقة في إلزامه، فأباح
تأخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى، إلى أن
يصيروا إلى الرّفاهية والسكون، فهو سبحانه راعى في
إيجاب الصوم هذه الوجوه من الرحمة، فله الحمد على
نعمه كثيراً).

- وقال ابن الجوزي: قال بعض العلماء: (إنّ الله تعالى
قال في المكروهات: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: 183]،
على لفظ لم يسم فاعله، وإن كان قد علم أنه هو الكاتب،

فلما جاء إلى ما يوجب الراحة، قال: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54].

- وقال ابن جزى : (والقصد بقوله: (كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) وبقوله: (أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ) تسهيل الصيام على المسلمين، ومُلاطفة جميلة).

- وقال ابن رجب الحنبلي: (الصيام بقي صاحبه من المعاصي في الدنيا، كما قال عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، فإذا كان له جنة من المعاصي، كان له في الآخرة جنة من النار، ومن لم يكن له جنة في الدنيا من المعاصي، لم يكن له جنة في الآخرة من النار - وجعل الله الصيام معادلاً لتحرير الرقبة في ثلاثة أحكام من كتابه:

(1) إذ جعل على من قتل مؤمناً خطأً، تحرير رقبة مؤمنة، ودية مسلمة إلى أهله، ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ. وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿92﴾ (النساء).

(2) وجعل الذين يظاهرون من نساءهم، ثم يعودون لما قالوا، تحرير رقبة من قبل أن يتماسا، ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ﴾ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ المجادلة (4)

(3) وجعل كفارة اليمين تحرير رقبة: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُهُ ۖ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۗ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ (89 المائدة).

فانظر لم كتب الله على من ارتكب شيئاً من هذه الخطايا الثلاث: أن يحرر رقبة مؤمنة من رِق الاستعباد، فإن لم يجدها فعليه أن يعمل على تحرير نفسه من رِق مطالب الحياة، ورق ضرورات البدن، ورق شهوات النفس، فالصيام كما ترى هو عبادة الأحرار.

الفرق بين وجدنا وألفينا

ما الفرق بين وجدنا وألفينا؟ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (21 لقمان). ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا لَكُم آيَاتٍ لِّئَلَّا يَعْقِلُوا شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (170 البقرة)؟ (د.فاضل السامرائي)

نقرأ الآية التي فيها ألفينا والتي فيها وجدنا ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا لَكُم آيَاتٍ لِّئَلَّا يَعْقِلُوا شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (170 البقرة) وفي الأخرى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا

عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْلُو كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿21﴾ لقمان). ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْلُو كَانِ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿104﴾ المائدة). آية ألفينا وآيتان وجدنا.

في القرآن الكريم لم يرد الفعل ألفى إلا فيما هو مشاهد محسوس، ولذلك قال بعض النحاة أنه ليس من أفعال القلوب، وقسم يدخلونه في أفعال القلوب، وقسم يقولون لا ليس من أفعال القلوب، وإنما من الأفعال المحسوسة المشاهدة. وأفعال القلوب قلبية يستشعر بها.

وألفى فعلاً في القرآن لم ترد إلا مشاهدة، في هذه الآيات في القرآن ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَاءَهُمْ صَالِينَ ﴿69﴾ الصافات). ﴿وَأَلْفَيْنَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴿25﴾ يوسف) ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ﴿170﴾ البقرة). أما (وجدنا) ففي القرآن وفي غير القرآن وردت قلبية وغير قلبية، ومشاهدة وغير مشاهدة مثلاً ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴿37﴾ آل عمران) ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ﴿86﴾ الكهف) ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ ﴿39﴾ النور) ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴿102﴾ الأعراف). يعني

وجدهم يخلفون الميعاد، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (62) (الأحزاب). ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (110) (النساء) .

فوجد أشمل وتستعمل للأمور القلبية، وألفى للأمور المحسوسة هذا في القرآن أما في غير القرآن ففيها كلام. من حيث اللغة قسم من النحاة يقول هي ليست من أفعال القلوب أصلاً، والنحاة في (وجد) هذه لا يختلفون فيها ويقولون هي من أفعال القلوب لا الأفعال المحسوسة، أما (ألفى) فهم مختلفون فيها.

في القرآن لم ترد في أفعال القلوب، وإنما هي محسوسة، ماذا ينبني على هذا؟ كيف اختلف التعبير بالنسبة لهذا الأمر؟ الذي لا يؤمن إلا بما هو مشاهد ومحسوس هو أقل علماً ومعرفة واطلاعاً ممن هو أوسع إدراكاً، ولذلك عندما يستعمل (ما ألفينا عليها آباءنا) يستعملها في الذم أكثر من (وجدنا)، يعني يستعمل (ألفى) إذا أراد أن يذم آباءهم ذماً شديداً، والذم مختلف، إذ قد تكون فيه حالة أشد من حالة، في الحالة الشديدة يستعمل ألفينا، يستعملها في الذم الشديد. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ

يَهْتَدُونَ ﴿ (170) البقرة) نفى عنهم العقل، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا ؕ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَآ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿ (104)
المائدة) نفى عنهم العلم.

أيهما الأشد أن تنفي العقل أو تنفي العلم؟ نفى العقل أشد،
فاستعمل ألفى في نفى العقل، وفي الثانية نفى العلم،
والعاقل يمكن أن يعلم لكن غير العاقل لا يعلم.

وحتى في الآية الأخرى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ
قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ؕ ءَابَاءَنَا ؕ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَآ يَشْعُرُونَ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَىٰ

عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿ (21) لقمان) الشيطان يدعو العاقل أو غير
العاقل ” يدعو العاقل؛ لأن غير العاقل غير مكلف،
يدعوهم معناه أنهم أصحاب عقل، فهو يستعمل ألفى إذا
أراد أن يذم أشد بنفي العقل، ويستعمل وجد لما هو أقل.
سؤال: الجاهليون كانوا يعلمون هذا الكلام ألفى ووجد
والفروق الدلالية؟

هم قطعاً يستعملون ألفى في الأمور المادية المحسوسة
أكثر، ولذلك قال قسم من النحاة إنها ليست من أفعال
القلوب.

سؤال: إذن كل كلمة في القرآن تحتاج إلى دراسة وإلى علم غزير، وليس إلى وجهة نظر أو انطباع القارئ أو الباحث في القرآن الكريم، وهناك علاقات ترابطية ودلالية لا بد أن تحتاج إلى علم وأي علم.

الإجهاد مبني على علم، وأصحاب علوم القرآن يذكرون شروطاً للذي يتصدى لهذا العلم، لا يأتي أحد ويقول أنا أفسر القرآن الكريم.

سورة المائدة

- إني لأستحي ألا أنظر كل يوم في عهد ربي مرة. (أبو موسى الأشعري رضي الله عنه)

وَالسَّارِقُ.... وَالسَّارِقَةُ

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّن

اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ المائدة 38

الآيات

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّن

اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ

يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ المائدة: 38-40 هذه الآية لو تأملنا فيها

بعض التأمل، لوجدنا أن الذكر قُدِّم على الأنثى في هذه الآية، فكما أن الرجل قد يسرق، فكذلك الأنثى قد تسرق،

فلماذا قَدَّمَ الذكر على الأنثى في السرقة، بينما في آية الزنا، قَدَّمَ الأنثى على الرجل (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ) النور، فلماذا قدم الأنثى في الزنا على الرجل، وقدم الذكر على الأنثى في السرقة هنا؟

الجواب/ أن مقام السرقة يكون الأكثر فيه الرجل، فله من القوة والشجاعة والإقدام ما ليس عند المرأة، ومن ثم قدمه في الذكر، بينما في موضع الزنا، قدم الأنثى لأن المرأة عندها من التفنن في الافتتان ما ليس عند الرجل، ولذا قد يخرج الرجل يريد الزنا ولا يجد شيئاً، بينما المرأة لو خرجت تريد الزنا وجدته ، فلذلك قدمها على الرجل، فقوله جل وعلا (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) المقصود من اليدين هنا الكف، من أطراف الأصابع إلى الكوع، والمقصود من ذلك اليمنى، فإذا سرق الإنسان نصاباً من المال، فإن كفه اليمنى تقطع، فإن كرر السرقة، ماذا تقطع؟ تقطع رجله اليسرى، فإن كرر السرقة مرة ثالثة تقطع يده اليسرى، فإذا كرر السرقة مرة أخرى تقطع رجله اليمنى، ويكون القطع من مفصل القدم وندع له كعبه وعقبه حتى يمشي عليه، فإذا كرر السرقة في المرة الخامسة ماذا يصنع به؟ قال بعض العلماء يعزر بالسجن، لأن شره استطار، وقال بعض العلماء يقتل، لأن هذا استمر شره ولا يندفع إلا بالقتل فيقتل، ومرد هذا إلى القاضي إذا رأى هذا أو إذا رأى هذا.

(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا)
إذا قطع في مقابلة ماذا؟ في مقابلة السرقة، إذا من
ظاهر هذه الآية لو سرق إنسان فقطعت يده هل يلزمه
أن يتوب أم أن القطع كافٍ له في التوبة؟ الذي يظهر من
هذه الآية أن الواجب عليه أن يتوب، فإن القطع لا يكون
مكفراً لذنبه، لأن الله سبحانه وتعالى ماذا قال ؟ (جَزَاءً
بِمَا كَسَبَا)

ثم قال جل وعلا (نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ) أي عقوبة من الله،
لينكل به وبغيره، ومن ثم فإن هذه الآية ترد على من
قال إن في قطع اليد في السرقة إن فيه وحشية، وليس
فيه رافة ولا رحمة، لأن هذه دعوى مقامة من قبل
الأعداء وروجت حتى سار خلفها بعض المسلمين أو
المنتسبين للإسلام وللأسف، فأصبحوا يقولون إن قطع
اليد في السرقة وحشية أو أنه لا يتواكب ولا يتوافق مع
هذا العصر، وجعلوا أن الله سبحانه وتعالى قال (نَكَالًا
مِّنَ اللَّهِ) ليس من الخلق، إذاً هذا فرض من الله سبحانه
وتعالى على خلقه فيجب عليه أن يمتثلوا به، لأنه أعلم
بحالهم وبما يصلح شأنهم ودنياهم، لأنهم قد يقولون كيف
تقطع اليد الذي لو اعتدى إنسان على إنسان فقطع يده
فإن عليه نصف الدية، فيقولون كيف تقطع إذا سرق ربع
دينار فصاعداً، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال كما
في الصحيحين (تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً) ربع
الدينار كم يساوي؟ واحد جرام من الذهب ويزيد شيئاً

يسيرا، فكيف تقطع يده؟ نقول تقطع يده، لم؟ لأن السرقة والخيانة أرخصتها، ولأجل أن تسلم أموال وأنفس وممتلكات الآخرين، نقطع يدا حتى تسلم الأيدي كلها، نقطع يدا حتى تسلم الأموال كلها، فإذا علم السارق أن يده ستقطع في مثل هذه النصاب والمقدار، كف عن السرقة، فسلم من ذلك الناس، لأن السارق في الغالب إذا وجد صاحب المال سيدافع عن نفسه، ما الذي يترتب على ذلك؟ يترتب على ذلك القتل، فإذا قطعت يده سلم المجتمع من شره، ولذا قال عز وجل (نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) لم يقل (غفور رحيم) وإنما قال (والله عزيز حكيم).

(عزيز) يعني قوي وغالب وممتنع لا ينال بسوء (حكيم) يضع الأمور في مواضعها المناسبة لها، فمن المناسب للبشر أن الإنسان إذا سرق نصاباً من المناسب أن تقطع يده، ولذلك قرأ إنسان فأخطأ في يوم من الأيام في هذه الآية، فكان عنده أعرابي لكن عنده تذوقاً وتبحراً في لغة العرب، قرأ إنسان وعنده أعرابي فُح، يعني يفهم المقامات والسياقات وماذا يراد منها، قرأ: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) قال هذا ليس بكلام الله، قال كيف؟ قال أعدها، فلما أعدها (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) قال نعم هذا كلام الله، عز فحكم فقطع، ولو رحم وغفر ما قطع.

سورة الانعام

القرآن هو النعمة العظمى التي كل نعمة و إن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة فعليك أن تستغني به. (الزمخشري/الكشاف)

الفرق بين قوله تعالى (من إملاق) وقوله تعالى (خشية إملاق)

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ
نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ الأنعام 151 ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً
إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيراً ﴾

الإسراء 31

الإملاق هو الفقر وقد كان من عادة أهل الجاهلية أنهم يبدون بناتهم وأيضا ربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار كما سولت لهم الشياطين إما لوجود الفقر، أو خشية وقوعه في المستقبل فنهاهم الله تعالى عن الأمرين فالآية الأولى (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ) الأنعام 151/ واردة على السبب الأول: أي لا تقتلوا أولادكم لفقركم الحاصل فإن الله متكفل برزقكم ورزقهم الآية الثانية: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ

نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) الإسراء/٣١ واردة على السبب الثاني:
أي لا تقتلوا أولادكم خشية أن تفتقروا أو يفتقروا
بعدكم فإن الله يرزقهم ويرزقكم.
قال ابن كثير رحمه الله: وقوله تعالى (من إملاق)
قال ابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم: هو الفقر أي:
لا تقتلوه من فقركم الحاصل.

وقال في سورة الإسراء : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً
إِمْلَاقٍ) أي: لا تقتلوه خوفاً من الفقر في الأجل يعني
في المستقبل ولهذا قال هناك (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)
فبدأ برزقهم للاهتمام بهم أي لا تخافوا من فقركم بسبب
رزقهم فهو على الله وأما في هذه الآية فلما كان الفقر
حاصلاً قال تعالى (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) لأنه الأهم
ههنا.

قوله تعالى: (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) بدأ هنا برزق
الوالدين أي في سورة الأنعام وفي سورة الإسراء بدأ
برزق الأولاد.

والحكمة من ذلك أنه قال هنا (من إملاق)
فالإملاق حاصل فبدأ بذكر الوالدين اللذين أملاً.

وهناك قال (خشية إملاق) في الإسراء: 31 فهما غنيان
لكن يخشيان الفقر فبدأ برزق الأولاد قبل رزق الوالدين.

سورة الكهف

إنما آيات القرآن خزائن، فإذا دخلت خزانة فاجتهد أن لا تخرج منها حتى تعرف ما فيها. (سفيان بن عيينة / رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز للرسعني)

تحتوي هذه السورة على أربع قصص وفي نهاية كل قصة تعقيب عليها، والقصص هي:

-- قصة أهل الكهف تدور حول مجموعة من الشباب الذين آمنوا بالله في بلد كل أهلها كافرون وحاولوا أن يدعوا ملكهم للإيمان ولكنه رفض ولما أحسوا بأنهم في خطر وأن قومهم قد يقتلونهم، أووا إلى الكهف وهناك حدثت المعجزة وجعلهم الله ينامون فترة طويلة كانت 309 سنة، ثم أيقظهم وجعل أهل قريتهم يعثرون عليهم ويعرفون معجزة الله تعالى فيهم.

-- قصة صاحب الجنتين وصاحبه وهي قصة رجل كان غنيا وله جنتان مثمرتان، ولكنه كان لا يشكر ربه ولا يعترف بفضل الله عليه، وأراد صاحبه أن ينصحه ويجعله يتوب ويرجع إلى الله ولكنه أبى، فكان جزاؤه أن دمر الله له جنتيه.

-- قصة موسى عليه السلام والخضر وتبدأ عندما سأل رجل موسى عليه السلام عن أعلم أهل الأرض فقال له

أنا، فأخبره الله أحداث غريبة تفسرها لنا السورة.
-- قصة ذي القرنين: وهي قصة ملك فتح بلادا كثيرة في
أنحاء الأرض، حتى وصل إلى قوم استغاثوا به لينقذهم
من يأجوج ومأجوج، فبنا لهم السد الذي يمنعهم من
الإغارة عليهم، وهو السد الذي سيتهدم حين يجيء أمر
الله بقرب قيام الساعة.

لأول وهلة قد نحس أن هذه القصص لا يوجد رابط
بينها ولكن بالتأمل فيها نجد أن القصص الأربعة كل
واحدة منها تتكلم عن فتنة من الفتن الشديدة التي
يتعرض لها بنو آدم في كل زمان فجاءت:

- قصة أهل الكهف تتعرض لفتنة الدين.
- قصة صاحب الجنين تتعرض لفتنة المال.
- قصة موسى عليه السلام والخضر تتعرض لفتنة العلم.
- قصة ذي القرنين تتعرض لفتنة السلطة والجاه.

ومن هنا نفهم أن هدف السورة هو العصمة من
الفتن، لذلك فمن فضل قراءة سورة الكهف أن من يقرأها
يوم الجمعة أضاء الله له نورا من قدميه إلى عنان
السماء، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أدرك
الدجال فقرأ فواتح سورة الكهف أو خواتيمها عُصِمَ
منه"، وهنا يمكن لنا أيضا أن نربط بين الدجال وما جاء
في السورة من فتن كالآتي:

- فتنة الدين والدجال يفتن الكثير في دينهم بما يمكنه من إحياء للموتى.
- فتنة المال والدجال يأمر الأرض فتخرج كنوزها ويستطيع أن يتحكم في المطر.
- فتنة العلم والدجال يفتن الكثيرين بما يخبرهم به من غيبات.
- فتنة السلطة والدجال تدين له معظم بلاد الأرض ما عدا مكة والمدينة فلا سلطان له عليهم.
- وقد وضحت لنا السورة عقب كل قصة كيفية النجاة من الوقوع في الفتنة التي ذكرتها فجاءت:
- الآية 28-29 بعد قصة أهل الكهف توضح أن النجاة من فتنة الدين تتمثل في الصحبة الصالحة وتذكر الآخرة.
- الآية 45-46 بعد قصة صاحب الجنين توضح أن النجاة من فتنة المال تأتي من فهم حقيقة الدنيا وتذكر الآخرة.
- الآية 69 بعد قصة موسى والخضر توضح أن النجاة من فتنة العلم وسيلتها التواضع.
- الآية 103-104 بعد قصة ذي القرنين توضح أن النجاة من فتنة السلطة تتمثل في أن تكون مخلصا في عمالك لله، وأن تتذكر الآخرة.

وجاءت الآية الأخيرة 110 لتركز تركيزاً شديداً على العصمة من الفتن تأتي بأن تعمل عملاً صالحاً وبأن تخلص كل عمك لله، ولقد قال العلماء أن شروط قبول العمل أن يكون صحيحاً وأن تخلص نيتك لله.

وجاءت الآية 50 في منتصف السورة وبعد أول قصتين فيها بذكر الشيطان وقصته لأن الشيطان هو المحرك الأساسي لأي فتنة فيجب الانتباه والحرص على عدم الوقوع تحت تأثيره.

تسمية السورة:

سميت السورة بالكهف لأنه رمز بأن من يتوكل على الله ويتمسك بشرع الله ودينه، فلا بد أن يقف الله معه ويسانده، فهؤلاء الفتية فروا بدينهم حتى لا يفتنوا فيه فحماهم الله وجعل لهم من الكهف المظلم مأوى وأماناً ونوره لهم ليبيد الظلام والوحشة، وهكذا فمن يتوكل على الله فهو حسبه.

ملاحظات عامة على السورة:

- الحركة في السورة كثيرة مثل فأووا، فانطلقا، فأعينوني، وهذا لأن الحركة مطلوبة لعدم الوقوع أو الركون إلى الفتن.
- بدأت السورة بذكر القرآن و انتهت أيضاً به، وفي هذا

إشارة واضحة أن من أهم عوامل الوقاية من الفتن هو التمسك بالقرآن.

- ذكرت في السورة الدعوة إلى الله بكافة مستوياتها فجاء دعوة الشباب للملك، ودعوة الصديق لصديقه، وتعليم صاحب العلم لتلميذه، ودعوة ولي الأمر لرعيته. وفي هذا إشارة واضحة إلى أهمية الدعوة.

- تكثر في السورة ذكر الغيبيات مثل عدد أصحاب الكهف، وموقع السد بيننا وبين يأجوج ومأجوج، وغيرها لتلفت نظرنا بأن هناك أشياء كثيرة من حولنا وأحداث قد لا نستوعب الحكمة فيها فالواجب أن نفعل ما علينا ونجتهد ونسلم أمرنا لصاحب الأمر ونوقن بقدرة الله وعلمه و حكمته.

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٦﴾ وَأَمَّا الْفُلُفُؤُ فَكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ

أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ الكهف: 79-82.

فَأَرَدْتُ .. فَأَرَدْنَا .. فَأَرَادَ رَبُّكَ: في سورة الكهف ذكرت هذه الكلمات الثلاث قال تعالى في الآية الأولى عن السفينة: **أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلَكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا.**

حيث أضاف **عيب السفينة إلى نفسه رعاية للأدب،** لأنها لفظة عيب فتأدب، بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه، كما تأدب إبراهيم عليه السلام في قوله: **وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينُ** فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله تبارك وتعالى، وأسند إلى نفسه المرض، إذ هو معنى نقص ومصيبة، فلا يضاف إليه سبحانه وتعالى من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح، وهذا كما قال تعالى: **بيدك الخير اقتصر عليه، ولم ينسب الشر إليه، وإن كان بيده الخير والشر، والنفع والضر، إذ هو على كل شيء قدير .**

ولله تعالى أن يسند إلى نفسه ما يشاء، ويطلق عليا ما يريد، ولا نطلق نحن إلا ما أذن لنا فيه من الأوصاف الجميلة، والأفعال الشريفة، جل وتعالى عن النقائص والآفات علواً كبيراً.

الآية الثانية قال الله تعالى فيها عن الغلام: **وَأَمَّا الْغُلَامُ**

فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا .
فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا .
فَأَرَدْنَا وَكَانَهُ أَضَافَ الْقَتْلَ إِلَى نَفْسِهِ، وَالتَّبْدِيلَ إِلَى اللَّهِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَالْأَشَدَّ كَمَالَ الْعَقْلِ وَالْخَلْقِ، فَأَبَدِلَهُمَا اللَّهُ
تَعَالَى ابْنَةَ، فَتَزَوَّجَهَا نَبِيًّا، فَوَلَدَتْ لَهُ اثْنَا عَشَرَ غُلَامًا
كُلَّهُمْ أَنْبِيَاءٌ .

وَالآيَةُ الثَّلَاثَةُ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْجِدَارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَأَمَّا
الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ
لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا
وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي
ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا .

حَيْثُ أَسْنَدَ الْإِرَادَةَ فِي الْجِدَارِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى،
لَأَنَّهَا فِي أَمْرٍ مُّسْتَأْنَفٍ فِي زَمَنِ طَوِيلٍ، وَغَيْبٍ مِنْ
الْغَيْبِ، فَحَسَنَ إِفْرَادَ هَذَا الْمَوْضِعِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ
كَانَ الْخَضِرُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَرَادَ ذَلِكَ، فَالَّذِي أَعْلَمَهُ هُوَ
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَرِيدَهُ .

وَقِيلَ: لَمَّا كَانَ ذَلِكَ خَيْرًا كُلَّهُ أَضَافَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.
وَقِيلَ: أَسْنَدَ الْإِرَادَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى هَهُنَا لِأَنَّ بَلُوغَهُمَا
الْحِلْمَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ [فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا
أَشُدَّهُمَا] وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

● قَالَ تَعَالَى: وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ
أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (الكهف (35)).

وقال تعالى: كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ اَتَتْ اَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلَمْ مِنْهُ شَيْئًا ۗ
وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا

• تأمل: لم تظلمنا وصاحبهما ظالم (جماد لم يظلم
وبشر ظالم)

• يقول تعالى بعد ذكره المشركين، المستكبرين عن
مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين، وافتخروا
عليهم بأموالهم وأحسابهم، فضرب لهم مثلاً برجلين،
جعل الله لأحدهما جنتين، أي بساتين من أعناب
محفوظتين بالنخيل المحدقة في جنباتهما وفي خلالهما
الزروع، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في
غاية الجودة نقل السهيلي: عن محمد بن الحسن المقرئ:
اسم الخير من الرجلين (تمليخا) واسم الآخر (فوطيس)
وأنها كانا شريكين، ثم اقتسما المال، فصار لكل واحد
منهما ثلاثة آلاف دينار، فاشتري المؤمن منهما عبداً
بألف وأعتقهم، وبالألف الثانية ثياباً وكسا العرأة،
وبالألف الثالثة طعاماً وأطعم الجياع، وبني أيضاً
مساجد، وفعل خيراً - وأما الآخر: فنكح بماله نساء ذات
يسار، واشتري دواب وبقرأ فاستنتجها فنمت له نماء
مفرطاً، واتجر بباقيها فربح حتى فاق أهل زمانه غنى.
وأدركت الأول الحاجة فأراد أن يستأجر نفسه في جنة
يخدمها فقال: لو ذهبت إلى شريكي وصاحبي فسألته أن
يستخدمني في بعض جناته رجوت أن يكون ذلك أصلح

لي، ف جاء فلم يكذ يصل إليه من غلظ الحجاب فلما دخل عليه وعرفه سأله حاجته، قال: ألم أكن قاسمتك المال شطرين، فما صنعت بمالك؟ قال: اشتريت به من الله، ما هو خير وأبقى. قال: أأنك لمن المصدقين، ما أظن الساعة قائمة، وما أراك إلا سفيهاً، وما جزاؤك عندي على سفاهتك إلا الحرمان. أو ما ترى ما صنعت أنا بمالي حتى آل إلى ما تراه من الثروة وحسن المال؟ وذلك أني كسبت وسفهت أنت، أخرج عني. ثم لك (ان من قصة هذا الغني ما ذكره الله في القرآن من الإحاطة بثمرها وزهباها أصلاً. وفي عجائب الكرمان، قيل: كانا أخوين في بني إسرائيل، أحدهما مؤمن اسمه تملیخا وقيل: يهوذا، والآخر كافر اسمه نظروس وهما المذكوران في سورة الصافات) قال قائل منهم إنني كان لي قرين. يقول أنك لمن المصدقين) الآية. ولهذا قال : (كلتا الجنتين آتت أكلها) أي أخرجت ثمرها (ولم تظلم منه شيئاً) أي لم تنقص منه شيئاً (وفجرنا خلالهما نهراً) أي والأنهار متفرقة ههنا وههنا (وكان له ثمر) قيل، المراد به المال، وقيل: الثمار، وهو أظهر ههنا، (فقال) أي صاحب هاتين الجنتين (لصاحبه وهو يحاوره) أي يجادله ويخاصمه، يفتخر عليه ويترأس (أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً) أي أكثر خدماً وحشماً وولداً، قال قتادة: تلك والله أمنية الفاجر، كثرة المال، وعزة

النفر. وقوله: (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) أي بكفره وتمرده وتجبره وإنكاره المعاد، (قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) وذلك اغترار منه، لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تفتنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف، وذلك لقلّة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة، ولهذا قال: (وما أظن الساعة قائمة) أي كائنة، (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) أي ولئن كان معاد ورجعة إلى الله ليكوننّ لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، كما قال في الآية الأخرى (ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى)، وقال: (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا).

قيل لعامر بن عبد قيس: أما تسهو في صلاتك؟ أو حديث أحب إليّ من القرآن حتى أشتغل به؟! (ابن الجوزي/المدهش)



﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ طه: 84.

لطائف قرآنية:

قال الله تعالى في سورة طه:

﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ طه: 84.

(أولاء) حذف هاء التنبيه من (هؤلاء) فأصبحت
(اولاء) لأن المخاطب هو الله عز وجل فلا يحتاج الى
تنبيه.

سورة النور

القرآن لا يثبت في الصدر ولا يسهل حفظه وييسر فهمه إلا
القيام به في جوف الليل. (الشنقيطي/أضواء البيان)

الزانية والزاني

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ
فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ لَهُمَا عَذَابٌ طَائِفَةٌ

مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ النور: 2. قدم الزانية على الزاني، لأن الزنى
من المرأة أقيح، وجرمه أشنع، لما يترتب عليه من
تلطيخ فراش الرجل، وفساد الأنساب، وإلحاق العار
بالعشيرة، ثم بعد كل هذا، الفضيحة بالنسبة للمرأة
(بالحمل) تكون أظهر وأدوم، لذا قدمت على الرجل.

قال الله تعالى: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا
مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ لَهُمَا عَذَابٌ طَائِفَةٌ مِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ.

قال القرطبي في تفسيره: قدمت الزانية في هذه الآية
،من حيث كان في ذلك الزمان زنى النساء فاش، وكان

لإماء العرب وبتغايا الوقت رايات ،وكن مجاهرات بذلك، وقيل: لأن الزنى في النساء أعر، وهو لأجل الحبل أضر، وقيل : لأن الشهوة في المرأة أكثر، وعليها أغلب، فصدرها تغليظاً لتردع شهوتها، وإن كان قد ركب فيها حياء، ولكنها إذا زنت ذهب الحياء كله.

وأيضاً فإن العار بالنساء ألحق، إذ موضوعهن الحجب والصيانة، فقدّم ذكرهنّ تغليظاً واهتماماً. فإن قلت: فلم قدم الرجل في قوله تعالى: الزّاني لا ينكح إلاّ زانيةً أو مُشركةً والزّانية لا ينكحها إلاّ زانٍ أو مُشركٌ وحرّم ذلك على المؤمنين؟

قلتُ: لأن تلك الآية في الحد والزنى، وهي في المرأة أقوى، وهذه الآية في حكم النكاح، والرجل هو الأصل فيه، لأنه الراغب والمبادر في الطلب، بخلاف الزاني فإن الأمر فيه بالعكس غالباً.

سورة الفرقان

لم نجد شيئاً أرق لهذه القلوب ولا أشد استجلاباً للحق من قراءة القرآن لمن تدبره. (وهيب بن الورد/حلية الأولياء)

هاء الخفض: وهناك هاء أخرى في القرآن الكريم ، تقابل هاء الرفع ، وهي هاء الخفض، وهي الهاء التي دخل عليها حرف الجر « في » في قوله تبارك وتعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾

يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ الفرقان:

.٦٩ - ٦٨

فقد نص علماء القراءات والتجويد على إشباع كسرة الهاء في قوله تعالى: ويخلد فيه مهاناً فتقرأ هكذا (ويخلد فيهي مهاناً) بالإشباع مع أن الهاء في مثيلاتها يكتفى بكسرتها، فلماذا مدت الهاء هنا أكثر من حركتين، إن وراء الهاء سرّاً دفيناً وعجيباً، وهو أن الذي دعا إلى هذا هو السياق الذي وردت فيه، فقد سبقها ذكر مجموعة

من المعاصي والفواحش التي لا يفعلها عباد الرحمن، ثم ذكرت الآيات ما يترتب على هذه الكبائر من عقوبة، وهي العذاب المضاعف مهاناً ذليلاً خاسئاً، ولما نقرأ الآية ونصل إلى قوله تبارك وتعالى : (ويخلد فيه مهاناً) يصور الله تعالى لنا المشهد المهيّب وكأننا نلحظ بأبصارنا إلقاء صاحب تلك المعاصي وهو يهوي في قاع جهنم، وحينما نمُدُّ الهاء في «فيه» أكثر من حركتين، كأن نفس القارئ ينزل إلى أسفل نحو رثيته، وبذلك يساعد على الإنزال والخفض، وكأننا بهذا المد الخاص هنا فقط نساعد على إنزال المجرم في هوة جهنم، ومسارعة سقوطه فيها.

سورة الجن

إذا أردتم العلم فقرأوا هذا القرآن فإن فيه علم الأولين
والآخرين. (وهيب بن الورد/حلية الأولياء)

القاسط .. و...المقسط

قال تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ
فَأُولَئِكَ نَحْرَوْا رِشْدًا﴾ (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَالْوَالِدُونَ
الَّذِينَ لَمْ يَرْزُقُوا مِنَّا وَلَمْ يُكْفَرْ لَهُمْ مِمَّا كَفَرْنَا بِهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ
لَأَنزِلُنَّهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَسِيبٌ زُنُوجًا لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا فَكَانُوا بِرِزْقِهِمْ يُجَادِلُونَ
فَلْيَكْفُرُوا إِنَّا نُغْنِي عَنْهُمْ زُجَّاجَ النَّارِ ۗ فَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ
مَن لَّمْ يَخْلُقْ لَهُمْ مِن شَيْءٍ فَهُمْ عَلَيْهِمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ
سَوِيحٌ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ وَعِلْمٌ أُنزِلَ بِهِ فَذُكِّرُوا لَعْنَةُ اللَّهِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٧﴾
ذِكْرٌ رَّبِّيهِ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٨﴾ الجن: 14-17.

القاسط.. و...المقسط كلمتان متقاربتان في الحروف،
ولكن الفرق بينهما في المعنى واسع وشاسع، قال الله
تعالى: وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا.
فالقاسط: هو الجائر، والظالم الذي عدل عن القسط،
وانحرف عن العدل.

والمقسط: هو العادل، والله تعالى يحب المقسطين،
ويبغض القاسطين، قال الله تعالى: وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ.

كلمة قاسط : من الفعل الثلاثي قسط، بينما كلمة مقسط :
من الفعل الرباعي أقسط ، فكأن الهمزة في " أقسط "
للسلب، كما يقال: شكا إليه فأشكاه، فالهمزة جعلت بين
الفعلين فرقاً كبيراً في المعنى، فرق تضاد.

(وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) أي الجائرون عن
قصد السبيل وهو الإسلام. فمن أسلم أي انقاد لله تعالى
بطاعته وخلص من الشرك به فهؤلاء تحروا الرشد
وفازوا به. (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)، توقد
بهم وتستعر عليهم وعلى الكافرين الجائرين أمثالهم
(1)، قال مجاهد وقتادة: "والبأس القاسط: الظالم."
ومنه قول الشاعر:

قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنـُـوَةً

عَمْرًا وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النُّعْمَانِ

(وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ)؛ المؤمنون: (وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ)؛
الجائرون عن طريق الحق، الذي هو الإيمان والطاعة،
وهم الكفرة : (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأَوْلُكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا)؛ طلبوا
هدى.

والتحرري: طلب الأخرى، أي الأولى، وجمع الإشارة
باعتبار معنى (مَنْ)، (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ)؛ الحائدون عن
الإسلام، (فكانوا)، في علم الله، (لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)؛ وقوداً،
وفيه دليل على أَنَّ الجني الكافر يُعَذَّبُ في النار وإن كان

منها، والله أعلم بكيفية عذابه، وقد تقدّم أنّ المشهور أنهم يُثابون على طاعتهم بالجنة.

(وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) يعني الظالمين، يقال قسط الرجل إذا جار، وأقسط بالألف إذا عدل.

والقاسطون: هم الجائرون الظالمون، جمع قاسط، وهو الذي ترك الحق واتبع الباطل، اسم فاعل من قسط الثلاثي بمعنى جار، بخلاف المقسط، فهو الذي ترك الباطل واتبع الحق، مأخوذ من أقسط الرباعي بمعنى عدل.

القاسطون غير المقسطين، فالمقسطون على منابر من نور، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن المقسطين، عند الله، على منابر من نور. عن يمين الرحمن عز وجل. وكلنا يديه يمين؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا» «صحيح مسلم»، أما القاسطون فهم: الجائرون الظالمون.

والقاسط: اسم فاعل قسط من باب ضرب، قسطا بفتح القاف وقسوطا بضمها، أي جار فهو كالظلم يراد به ظلم المرء نفسه بالإشراك، وفي الكشف: أن الحجاج قال لسعيد بن جبير حين أراد قتله، ما تقول في؟ قال: قاسط عادل، فقال القوم ما أحسن ما قال حسبوا أنه وصفه بالقسط بكسر القاف والعدل، فقال الحجاج: يا جهلة إنه

سماني ظالما مشركا، وتلا لهم قوله تعالى: (وَأَمَّا
الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ الأنعام: (7).

(وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)، وهذا التقرير من
الجن بأن منهم صالحين وغير صالحين، مسلمين
وقاسطين، يفيد ازدواج طبيعة الجن، واستعدادهم للخير
والشر كالإنسان، إلا من تمحض للشر منهم وهو إبليس
وقبيله، وهو تقرير ذو أهمية بالغة في تصحيح تصورنا
العام عن هذا الخلق.

فأغلبننا حتى الدارسين الفاهمين على اعتقاد أن الجن
يمثلون الشر، وقد خلصت طبيعتهم له، وأن الإنسان
وحده بين الخلائق هو ذو الطبيعة المزدوجة، وهذا
ناشئ من مقررات سابقة في تصوراتنا عن حقائق هذا
الوجود كما أسلفنا، وقد آن أن نراجعها على مقررات
القرآن الصحيحة!

(وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ)، اختلف المفسرون في معنى هذا على
قولين:

أحدهما: وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام
وعدلوا إليها واستمروا عليها، (لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا)،

أي: كثيراً، والمراد بذلك سعة الرزق. كقوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ المائدة: 66 ، وكقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الأعراف: 96، وعلى هذا يكون معنى قوله: (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ)، أي: لنختبرهم، كما قال مالك، عن زيد بن أسلم: (لِنَفْتِنَهُمْ)، لنبتليهم، من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية.

ذكر من قال بهذا القول: قال العوفي، عن ابن عباس: (وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ)، يعني بالاستقامة: الطاعة. وقال مجاهد: (وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ)، قال: الإسلام. وكذا قال سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وعطاء، والسدي، ومحمد بن كعب القرظي، وقال قتادة: (وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ)، يقول: لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا.

وقال مجاهد: (وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ)، أي: طريقة الحق، وكذا قال الضحاك، واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله: (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ)، أي لنبتليهم به.

وقال مقاتل: فنزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين.

والقول الثاني: (وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ)، الضلالة، (لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا)، أي: لأوسعنا عليهم الرزق استدراجاً، كما قال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ الأنعام: 44 .

وكقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ ﴿٥٥﴾ نَسَائِكَ لَمْ يَكُنْ فِي الْفَيْزِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ المؤمنون: 55-56 . وهذا قول أبي مجلز لاحق بن حميد؛ فإنه في قوله: (وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ)، أي: طريقة الضلالة. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وحكاه البغوي عن الربيع بن أنس، وزيد بن أسلم، والكلبي، وابن كيسان وله اتجاه، وتأيد بقوله: (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ).

وقوله: (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا)، أي: عذاباً شاقاً شديداً موجعاً مؤلماً. قال ابن قتيبة: المعنى لو آمنوا جميعاً لوسعنا عليهم في الدنيا، وضرب الماء الغدق مثلاً؛ لأن الخير كله والرزق

بالمطر، وهذا كقوله: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ المائدة: ٥٦ ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ المائدة: ٦٥، وقوله ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ الطلاق: ٢ - ٣، وقوله: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ ﴿١١﴾
 وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ غَيْرِهَا لِيَتَّقُوا اللَّهَ وَيَأْتُوا اللَّهَ بِنُورٍ ﴾ نوح: ١٠-١٢.

وقيل: المعنى: وأن لو استقام أبوهم على عبادته، وسجد لأدم ولم يكفر، وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم، واختار هذا الزجاج. والماء الغدق: هو الكثير في لغة العرب.

(لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ)، أي: لنختبرهم، فنعلم كيف شكرهم على تلك النعم. وقال الكلبي: المعنى وأن لو استقاموا على الطريقة التي هم عليها من الكفر، فكانوا كلهم كفاراً، لأوسعنا أرزاقهم مكرماً بهم واستدراجاً حتى يفتنوا بها، فنعذبهم في الدنيا والآخرة. وبه قال الربيع بن أنس، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن، والثمالي، ويमान بن زيان، وابن كيسان، وأبو مجلز، واستدلوا بقوله: ﴿ فَلَمَّا دَسَوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الانعام: ٤٤،

وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ
بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾ الزخرف: 33 ، والأول
أولى.

(وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا)، أي:
ومن يعرض عن القرآن، أو عن العبادة، أو عن
الموعظة، أو عن جميع ذلك يسلكه، أي: يدخله عذاباً
صعداً، أي: شاقاً صعباً.

(وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا .
لَنُنْفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا
صَعَدًا) يقول الله سبحانه إنه كان من مقالة الجن عنا ما
فحواه: أن الناس لو استقاموا على الطريقة، أو أن
القاسطين لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم نحن ماء
موفوراً نغدقه عليهم، فيفيض عليهم بالرزق والرخاء
(لَنُنْفِثَنَّهُمْ فِيهِ)، ونبثليهم أيشكرون أم يكفرون.

وهذا العدول عن حكاية قول الجن إلى ذكر فحوى
قولهم في هذه النقطة، يزيد مدلولها توكيداً بنسبة الإخبار
فيها والوعد إلى الله سبحانه، ومثل هذه اللفظات كثير في
الأسلوب القرآني، لإحياء المعاني وتقويتها وزيادة
الانتباه إليها.

وهذه اللفظة تحتوي جملة حقائق، تدخل في تكوين

عقيدة المؤمن، وتصوره عن جريان الأمور وارتباطاتها.

والحقيقة الأولى: هي الارتباط بين استقامة الأمم والجماعات على الطريقة الواحدة الواصلة إلى الله، وبين إغداق الرخاء وأسبابه؛ وأول أسبابه، توافر الماء واغدوداقه، وما تزال الحياة تجري على خطوات الماء في كل بقعة.

وما يزال الرخاء يتبع هذه الخطوات المباركة حتى هذا العصر الذي انتشرت فيه الصناعة، ولم تعد الزراعة هي المصدر الوحيد للرزق والرخاء. ولكن الماء هو الماء في أهميته العمرانية، وهذا الارتباط بين الاستقامة على الطريقة وبين الرخاء والتمكين في الأرض حقيقة قائمة.

وقد كان العرب في جوف الصحراء يعيشون في شظف، حتى استقاموا على الطريقة، ففتحت لهم الأرض التي يغدودق فيها الماء، وتتدفق فيها الأرزاق. ثم حادوا عن الطريقة فاستلبت منهم خيراتهم استلاباً. وما يزالون في نكد وشظف، حتى يفيئوا إلى الطريقة، فيتحقق فيهم وعد الله.

وإذا كانت هناك أمم لا تستقيم على طريقة الله، ثم تنال الوفرة والغنى، فإنها تعذب بأفات أخرى في

إنسانيتها أو أمنها أو قيمة الإنسان وكرامته فيها، تسلب عن ذلك الغنى والوفر معنى الرخاء. وتحيل الحياة فيها لعنة مشؤومة على إنسانية الإنسان وخلقه وكرامته وأمنه وطمأنينته.

والحقيقة الثانية التي تنبثق من نص هذه الآية: هي أن الرخاء ابتلاء من الله للعباد وفتنة: (وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْأَخْيَرِ فِتْنَةً) الأنبياء:35، والصبر على الرخاء، والقيام بواجب الشكر عليه والإحسان فيه، أشق وأندر من الصبر على الشدة! على عكس ما يلوح للنظرة العجلى، فكثيرون هم الذين يصبرون على الشدة ويتماسكون لها، بحكم ما تثيره في النفس من تجمع ويقظة ومقاومة؛ ومن ذكر الله والتجاء إليه واستعانة به، حين تسقط الأسناد في الشدة فلا يبقى إلا ستره، فأما الرخاء فينسي ويلهي، ويرخي الأعضاء وينيم عناصر المقاومة في النفس، ويهيئ الفرصة للغرور بالنعمة والاستئمان للشيطان!

إن الابتلاء بالنعمة في حاجة ملحة إلى يقظة دائمة تعصم من الفتنة، نعمة المال والرزق كثيراً ما تقود إلى فتنة البطر وقلة الشكر، مع السرف أو مع البخل، وكلاهما آفة للنفس والحياة، ونعمة القوة كثيراً ما تقود إلى فتنة البطر وقلة الشكر مع الطغيان والجور، والتطاول بالقوة على الحق وعلى الناس، والتهمج على

حرمات الله، ونعمة الجمال كثيراً ما تقود إلى فتنة الخيلاء والتهيه، وتتردى في مدارك الإثم والغواية، ونعمة الذكاء كثيراً ما تقود إلى فتنة الغرور والاستخفاف بالآخرين وبالقيم والموازين، وما تكاد تخلو نعمة من الفتن إلا من ذكر الله فعصمه الله.

والحقيقة الثالثة: أن الإعراض عن ذكر الله، الذي قد تنتهي إليه فتنة الابتلاء بالرخاء، مؤد إلى عذاب الله. والنص يذكر صفة للعذاب: (يسلكه عذاباً صعباً) توحى بالمشقة مذ كان الذي يصعد في المرتفع يجد مشقة في التصعيد كلما تصعد.

وقد درج القرآن على الرمز للمشقة بالتصعيد، فجاء في موضع: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ الأنعام: ١٢٥، وجاء في موضع: ﴿سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا﴾ المدثر: ١٧، وهي حقيقة مادية معروفة. والتقابل واضح بين الفتنة بالرخاء وبين العذاب الشاق.

سورة العنكبوت

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من علّم آية من كتاب الله كان له ثوابها ما تليت".
من أجمل ما قرأت

فائدتان من سورة العنكبوت:

الفائدة الأولى :
لماذا ذُكِرَ العنكبوت في القرآن بصيغة أنثى على الرغم
من أنه ذكر ؟
- تقول الآية:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ

الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۗ الْعَنْكَبُوتُ: 41

-هل لاحظتم تاء التانيث في كلمة اتخذت ؟

"العنكبوت "

أمذكر أم مؤنث ؟

-هل تقول:

"هذه عنكبوت " ، أم " هذا عنكبوت " ؟

-الصحيح هو "هذا عنكبوت"، لأنه مذكر
- فَلِمَ جاء خالقي بقاء التأنيث مع كلمة العنكبوت وقال:
"اتخذت " ؟

- أعاب الطاعنين في دين الله، والمشككين، فقالوا:
هذا خطأ في القرآن ، والعياذ بالله.

- فقالوا :

نحوياً ولغوياً الصحيح أن يُقال في الآية:

كمثل العنكبوت اتخذ بيتاً لأن كلمة العنكبوت مذكر.

- لكن شاء الخالق أن يترك لنا معجزه، حجةً لتزيدنا
يقيناً، وتزيد الكافرين ذلّةً ومهانة.

- فجاء العلم الحديث ليثبت أن أنثى العنكبوت هي
الوحيدة القادرة على بناء البيت والشبكة العنكبوتية.

- أما ذكر العنكبوت فلا حيلة له يخرج فقط خيوط
يستعملها للانتقال والتحرك فقط ولا قدرة له على بناء
بيت.

- فلو كان الله جل وعلا قال:

مثل العنكبوت اتخذ بيتاً، لكانت الآية خاطئة علمياً
وبيولوجياً.

- لكن سبحان الله جاءت تاء التأنيث لتوقّر الإيمان في
قلوبنا ولنعلم أنه الحق.

أما الفائدة الثانية:

تقوم أنثى العنكبوت بقتل الذكر بعد أن تنجب الأولاد وتلقيه خارج البيت..

- وبعد أن يكبر الأولاد يقومون بقتل الأم وإلقائها خارج المنزل..

- بيت عجيب من أسوأ البيوت على الإطلاق

- لقد وصفها القرآن بآيةٍ واحده...

(وإنّ أوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون)
سبحان الله!!

- لقد كان الناس يعلمون مدى الوهن في البيت الحسي للعنكبوت لكنهم لم يدركوا

الوهن المعنوي إلا في هذا العصر!!.. وبالتالي جاءت الآية: لو كانوا يعلمون!!

- ومع ذلك يسمي الله تعالى سورة باسم هذه الحشرة السيئة الصيت ويتكلم عنها في آية مع أنّ السورة تتحدث من أولها لآخرها عن الفتن؟

- البداية كانت:

(أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)
و (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله).

- قد يتبادر للذهن ما علاقة الفتن بالعنكبوت ؟

- الجواب:

إنّ تداخل الفتن يشبه خيوط العنكبوت..

- فالفتن متشابكة ومتداخلة فلا يستطيع المرء أن يميز بينها وهي كثيرة ومعقدة ولكنها هشّة وضعيفة إذا استعنا بالله..

- "اللهم جنّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن"

سورة القصص

قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: 4

1- إن من فطنة العدو أو الحاكم الظالم الجائر أن يجعل أهل الدولة التي يتسلط عليها شيعة، يستعين بإحداهن على الأخرى، وذلك الديدن تجده اليوم في تسلط العدو على العراق، وكيف استفاد من جعل أهلها شيعة، فاستضعفوا طائفة على حساب قوة طوائف أخرى.
2- عبّر عن الذبح بالفعل المضارع المضعّف، وفي ذلك

فائدتان:

الأولى: أن المضارع يفيد حدوث هذا الذبح وتجده مرة بعد مرة، كلما جاء موجبه، وهو ولادة المولود الذكر من بني إسرائيل.

الثانية: أن في التضعيف إفادة التكثير، أو المبالغة في هذا الفعل.

3- قابل الأبناء بالنساء، وفي ذلك سرٌ لطيف، فإنه إنما

يستفاد من إبقاء البنات إلى أن يكبرن، ويصرن نساءً
يستطعن الخدمة عند فرعون وقومه، أما في حال
صغرهن فلا يُستفاد منهن، وقد تنبّه إلى هذا المعنى ابن
جريج المكي، ففسّر هذا المعنى.

3- إن الفساد في فرعون متأصل ومستمر؛ لذا جاء
التعبير عن إفساده بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت
والاستقرار (إنه كان من المفسدين)، وأكّدت هذه الجملة
بحرف التأكيد (إِنَّ).

قوله تعالى ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ
وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً وَيَجْعَلْنَاهُمْ الْوَارِثِينَ ۗ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ القصص:
6-5 .

1- جاءت الأفعال: (نريد ، نمن ، نجعلهم ، نمكن لهم)
على صيغة واحدة، وهي الفعل المضارع المبدوء بنون
العظمة، والdal على الاستقبال، وفيها إشارة إلى
الاختيار الإلهي المحض لهؤلاء القوم في أن ينصرهم
الله ويمكنهم ممن اضطهدهم وآذاهم، لكن متى حصل
لهم؟ لقد عاشوا أول أمرهم مضطهدين من فرعون
وقومه، ثم أنقذهم الله بموسى وهارون، ولكن ذلك الجيل
الذي عاش حياة الذل لما يتأدب بأدب النبوة، ويتربى

بترتيبة الرسالة الموسوية؛ إذ لما طُلب منهم - بعد خروجهم من مصر - أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم ترددوا، وراجعوا موسى في ذلك، حتى انتهى بهم الأمر إلى أن يقولوا:

(اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون). يا للخزي والعار لقوم يقولون لنبيهم هذا القول.

إن هذا الجيل المهزوم لم يكن له شرف حمل الرسالة، والحصول على الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم فترة من الزمن، فضرب الله عليهم عقوبته بالتيه في صحراء سيناء أربعين سنة، عاشوا فيها، فمات من مات من جيل الهزيمة، ووُلد جيل عاش شظف العيش، ومارس شذائد الحياة الصحراوية، فكان الفتح على يديه بعد أن انتقل موسى وهارون إلى الرفيق الأعلى في زمن التيه، فانظر؛ كم الفرق بين الوعد وتحقيقه؟ ولكن الناس يستعجلون النصر.

وإذا تأملت واقعنا اليوم وجدتنا نعيش شيئاً من واقع تلك الأمة المخذولة التي ضُرب عليها التيه، واستكانت للراحة والدعة، وكرهت معالي الأمور التي لا تأتي إلا بعد الكدِّ والجِدِّ والتعب، فلا ترانا نزاحم على القوة العظمى، ونقنع بالدون والهوان، فأخشى أن نكون - ونحن بهذا الحال - لسنا جيل النصر، والله غالب على أمره، والأمر كما قال تعالى: (وإن تتولوا يستبدل قوماً

غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)، ولن يأتي ذلك إلا بالتغيير (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، فإذا حصل ذلك جاء الجيل الذي أشار اله إليه بقوله تعالى: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)، فأسأل الله العظيم أن لا يحرمننا فضله، وأن يجعلنا ممن يُؤتاه.

2- في الفعل (نري) من قوله تعالى (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) قراءتان: (نري) (يرى)، ومؤدى المعنيين في القراءتين واحد، فهو سبحانه يريهم فيرون، فالفعل من الله ابتداء تقدير، ومنهم تحقق وحدث.

3- في قضاء الله لطف وخفاء عجيب لا يمكن إدراكه إلا بعد وقوعه، فانظر كيف توعد فرعون وهامان وجنودهما، فقال: (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)، فقدّر الله - من حيث لا يشعرون، ولا يستطيعون ردّ قضائه مهما بلغوا من قوة أو علم - أن يكون بيت فرعون حاضناً لعدوه الذي سينهي أمره، فبالله عليك، أترى قوة في الأرض تستطيع إدراك هذا القدر قبل وقوعه، فنتقيه، وتأمل ما يقال - بغض النظر عن دقته وصحته - من مساعدة أمريكا

للأفغان في حربهم على الروس ، وكيف انتهى الأمر بأولئك أن حاربوا أمريكا التي كانت تمدهم بالسلاح، والله فيما يقدر أسرار ولطائف.

ولو قرأت في التاريخ، ونظرت في قصص من حولك، لوجدت مثل تلك الصورة، فكم من امرئ أنعم على عبد من عباد الله، وكان ذلك العبد سبباً في هلاكه وزوال أمره وموته؟

قوله تعالى (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ).

1- لقد جاء الولد المختار من بني إسرائيل الذي سيكون هلاك فرعون وقومه على يديه ، جاء وهم يقتلون الأبناء، فانظر لطف الله ، ورعايته ، ودقيق قدره في تخليص موسى عليه السلام من القتل؟

2- أرأيت لو كنت متجرِّداً من معرفة ذا الخبر، وقيل لك: إن امرأة وضعت ابنها في تابوت، وألقته في النهر، تريد له الأمان، أفكنت ترى ذلك من العقل والحكمة في شيء؟!؟

إن هذا الموضوع لو كان عُرض عليّ وعليك، لقلنا : إنه مجانب للعقل والحكمة.

لكن الذي أمر بذلك هو من يعلم السرّ وأخفى، ألقته في اليمّ، وسار التابوت برعاية الله له، فهو الذي أمر، فأنى لمخلوق أن يؤذي هذا الرضيع، وتابوته يتهدى بين مياه النهر؟!!

3- إن في إرضاعها لموسى أول الأمر سرّاً لطيفاً، وهو أن هذا الطفل سيتذكر ذلك الثدي الذي أرضعه الحليب أول مرة، فإذا عُرض على المراضع لم يأنس بها، وانتظر ما بقي في ذاكرته الطفولية من ذلك الثدي الأول؛ إنه إلهام الله، وتقديره الخفي الذي لَطَفَ فدقّ، ولَطَفَ فرفق.

4- اشتملت الآية على لطائف من تنويع الخطاب، ففيها أمران (أرضعيه، فألقيه)، وفيها نهيان (لا تخافي، ولا تحزني)، وفيها بشارتان (رأده، وجاعلوه).
5- اشتمل النهيان على الماضي والمستقبل، فقوله: (لا تخافي) أي عليه فيما يستقبله من قدر، وقوله (ولا تحزني) على فقده.

6- تأمّل البشارتين كيف جاءتا مؤكّدتين تأكيداً بليغاً يتناسبان مع موقف تلك الأم المفطورة في ولدها (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) فإن للتوكيد، ومجيء (رادوه، وجاعلوه) على اسم الفاعل بدلاً من الفعل لتكون الجملة اسمية، فتدل على الثبوت. يالَ قلب تلك الأم المسكينة، أَلقت ابنها في اليم ، وأصبح

قلبها خاليًا من كل شيء سوى ذكر موسى، فكادت - ولم تفعل - أن تخبر بأنه ابنها، وليكن ما يكن، لكنَّ الله أمرًا لابدَّ أن يمضي على تقديره، فربط على قلب الأم؛ تثبتها وصبرها حين لات صبر، ثم بدأت تفعل الأسباب، فقالت لأختها: اتبعي أثره، وانظري أمره، فكان ما كان من رجوعه، وتحقق وعد الله لها، فيالها من فرحة عاشتها أم موسى، وهنيئًا لها البشارة الثانية بالرسالة.

سورة النحل

قال تعالى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ النحل: 68.

فتأمل كمال طاعتها وحسن انتمارها لأمر ربها تعالى كيف اتخذت بيوتها في الجبال وفي الشجر وفي بيوت الناس حيث يعرشون أي بينون العروش وهي البيوت فلا يرى للنحل بيت غير هذه الثلاثة البتة .

وتأمل كيف أن أكثر بيوتها في الجبال وهو البيت المقدم في الآية ثم الأشجار وهو من أكثر بيوتها وأقل بيوتها بينهم حيث يعرشون .

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمِيَّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُمُونَ ﴾ الزمر: 30-31.

مَيِّتٌ ..و .. مَيِّتٌ: كلمتان متقاربتان، الأولى بالتشديد والثانية بالتسكين، فما هو السر الدفين في هذا التفاوت في التعبير؟ وما الفرق بين الكلمتين؟.

أولاً لا ترادف في كلمات القرآن الكريم، أي لا توجد كلمتان في القرآن بمعنى واحد، بل لا بدّ من فروق دقيقة بينهما.

وربما عدل القرآن عن صورة إلى أخرى تختلف عن الأولى في عدد الحروف أو الترتيب أو الحركات، وهذا التغيير يكون مقصوداً، لذلك لا بدّ من حكم ولطائف من هذا التعبير والتغيير.

الميّت - بالتشديد - : هو غالباً ما يعبر به عن الحي الذي فيه الروح.

الميت - بالتسكين: هو الذي خرجت روحه منه. فالميت: مخلوق حي، ما زال يعيش حياته، وينتظر أجله، فهو ميت مع وقف التنفيذ، ونرى هذا المعنى واضحاً في قوله تعالى وهو يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ الزمر: 30-31.

الآية الكريمة تخبره بأنه سيموت، وأن خصومه الكفار سيموتون، فكل حي « ميت » حال حياته ينتظر حلول الأجل.

والميت: هو المخلوق الذي مات فعلاً وخرجت روحه

وأصبح جثة هامدة، وأطلق القرآن هذا اللفظ على:
البلد الميت، فقال الله تعالى: ﴿وَعَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْتَهَا
وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ يس: 33.

والبهيمة الميتة، قال الله تعالى: إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ
وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ.

والميت: هو الإنسان الذي مات وخرجت روحه، وقد
شبهه الله تعالى الذي يغتاب أخاه بمن يأكل لحم ذلك
الإنسان الميت فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا
كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا
يَغْتَابَ بَعْضُكُمُ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ.

والكافر: قلبه ميت، فهو ميت موتاً معنوياً، رغم أنه
يتحرك ويتنفس، ميت لخلو قلبه من الإيمان، وحياته من
الاستقامة، ولا يحيي قلبه إلا الإيمان: أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا
فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ
فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ.

ولعلنا نستشف هذه المعاني من حركات الكلمتين،
فالميت: ياؤه مشددة، ويشير إلى إقبال الإنسان الحي
على حياته الدنيا، وانهماكه فيها، وحرصه عليها بكل ما
أوتي من قوة وشدة.

أما الميِّت: الذي خرجت روحه، فيأوه ساكنة غير متحركة، ولعلها إشارة إلى سكون هذا الإنسان وهدوئه بعد خروج روحه، وتوقفه عن الحركة، وقد قال الشاعر مفرقاً بينهما:

وَتَسْأَلُنِي تَفْسِيرَ مَيِّتٍ وَمَيِّتٍ
فَدُونَكَ ذَا التَّفْسِيرِ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ
فَمَنْ كَانَ ذَا رُوحٍ فَذَلِكَ مَيِّتٌ
وَمَا الْمَيِّتُ إِلَّا مَنْ إِلَى الْقَبْرِ يُحْمَلُ.

ما الفرق بين (بلد ميِّت) - بتشديد الياء - بتشديد الياء - وبين

(بلدة ميِّتاً) - بتخفيف الياء - في قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ
سَحَابًا نَقَّلْنَا فِيهَا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ
الشَّجَرَةِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: 57.

وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ
وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا
خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَا سَيِّ كَثِيرًا ﴾ الفرقان: 48-49.

أن الله سبحانه وتعالى تحدث في الآية الأولى عن
(بلد ميِّت) بتشديد الياء: وهو غالباً ما يعبر به عن
الحي الذي فيه الروح، ولكنه سوف يموت، وقد شبه الله

تعالى هذا البلد بالإنسان الذي أشرف على الموت فأدركته رحمة الله تعالى فلن تخرج روحه بعد، وهو ينتظر حلول الأجل، وما أقرب هذا المعنى من (الأرض الخاشعة) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْقِعُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فصلت: 39 .

والأرض الخاشعة هي الأرض الذليلة التي فيها حياة ونبات ولكنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، وتترنج على شفا جرف هار ، تستغيث بخشوع وتذلل وانكسار وذبول لما أصابها من جفاف وقلة ماء.

والآية الثانية : (بلدة ميتة) - بتخفيف الياء - شبه الله تعالى هذه البلدة بالإنسان الذي مات فعلاً وخرجت روحه منه، وأصبح جثة هامدة ، لذلك قال (لنحيي به بلدة ميتة).

وما أقرب هذا المعنى من (الأرض الهامدة) التي لا حياة فيها، قال الله تعالى ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا

الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ الحج: 5.

فالأرض الهامدة: هي التي لا يكون فيها حياة ولا نبت ولا عود ولم يصبها مطر. والله تعالى أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ
خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ
أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ القدر: 1-5.

معجزات عديدة في سورة القدر:

تتحدث سورة القدر عن فضل ليلة القدر، وتخبر أن إنزال القرآن كان في ليلة القدر، وتبين أنها خير من ألف شهر، وحثنا النبي على إحياء تلك الليلة فقال عليه الصلاة والسلام: من يقيم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

سورة القدر هذه تحتوي على إشارات عظيمة وعميقة منها:

- كلمة « القدر » مؤلفة من خمسة أحرف، وكأنها تشير إلى أركان الإسلام الخمسة.

- تحتوي هذه السورة على خمس آيات، وكأنها تحت الأمة على المحافظة على الصلوات الخمس جماعة في بيت من بيوت الله تبارك وتعالى.

- حافظ على صلواتك الخمس فكم من مصبح وعساه لا يمسي.

واستقبل يومك بذكر الإله تمحو به ما كان بالأمس
- كما أن هذه السورة تحتوي على ثلاثين كلمة، بعدد أيام
شهر رمضان الكريم وهي تحت الأمة على محافظة
صيام هذا الشهر الكريم.

- وتحتوي هذه السورة على مائة وأربعة عشر حرفاً،
بعدد سور القرآن الكريم، وكأنها تحت الأمة على تلاوة
هذا الكتاب المجيد، الذي أنزل في هذا الشهر الكريم.
- وفيها إشارة إلى أن ليلة القدر هي ليلة السابع
والعشرين ، وذلك لأن جملة « ليلة القدر » مكونة من
تسعة أحرف ، ومكررة ثلاث مرات، ولعل الحكمة من
ورودها ثلاث مرات هي الإشارة إلى تعيين الليلة ،
فحاصل ضرب عدد الحروف بعدد المرات ، نستنتج
تعيين الليلة : $27 = 3 \times 9$ وهي ليلة القدر والله تعالى
اعلم.

- وذكرنا أن عدد كلمات هذه السورة ثلاثون كلمة ، على
عدد أيام الشهر الكريم، ورقم كلمة « هي » الضمير
المنفصل الذي يعود على ليلة القدر، هو السابع
والعشرون في عدد الكلمات، وكأن الآية تنطق بأن ليلة
القدر هي ليلة السابع والعشرين، والله تعالى أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم خبر النملة في قصة سليمان
الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام
على خير خلقه وأفضل رسله. أما بعد: فهذا لقاء من

لقاءات لطائف ومعارف، يحمل عنوان سليمان وجنوده، وهو مقتبس من قول الله جل وعلا: ﴿وَحِشْرَ لَسْلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ النمل: 17. سليمان عليه الصلاة والسلام أحد أنبياء بني إسرائيل، وهذا النبي الكريم هو ابن لنبي، وهو داود عليه الصلاة والسلام، وكان الله جل وعلا قد أتى داود الملك والكتاب والحكم والنبوة، وهو من أعظم أنبياء بني إسرائيل صلوات الله وسلامه عليهم، هذا النبي الكريم -أي داود- آناه الله جل وعلا الرغبة في العبادة والقدرة عليها، وهو من أعبد خلق الله، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود). ذكر الله جل وعلا خبر سليمان في مواطن متفرقة، أشهرها في سورة النمل، قال الله جل وعلا: ﴿وَحِشْرَ لَسْلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَكْتَابُهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُم لَّا يَعْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانَ وَجُنُودَهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النمل: 17-18. وهذا من أدبها؛ لأنها أشفقت على قومها وتأدبت مع نبي الله سليمان بقولها، وهم لا يشعرون. لكن الحدث الجلل في خبر سليمان هو قصته مع الهدهد وقوم بلقيس أي: قوم سبأ.....

خبر الهدهد مع سليمان إن سليمان عليه الصلاة والسلام
بدا له ذات يوم أن يتفقد جيشه، قال الله جل وعلا:

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنْ

الغَائِبِينَ ﴾ النمل: ٢٠. وهذا يدل على أن المرء إذا أوكل
إليه عمل إما أن يأخذه بقوة أو يتركه، ولا يحسن بالعاقل
أن يتولى عملاً ثم يقصر في أدائه، قال الله جل وعلا:

﴿ يَنْجِي خُذِ الْعِكْتَبَ بِقُوَّةٍ وَأْمِتْنِهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا ﴾ مريم: 12 ،

وقال الله جل وعلا: ﴿ إِنَّكَ خَيْرٌ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

القصص: 26. وسليمان عليه السلام رغم ما أورثه الله جل
وعلا من العصمة والنبوة والملك إلا أنه كان حريصاً
على أن يتفقد ملكه، فقال الله: ((وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ))، أي:
موقع الطير من الجند، ((فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ
كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ))، ثم توعدته حتى لا يضعف غيره

فقال: ﴿ لِأَعْدِيَّتِهِ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَدْبَحْتَهُ ﴾ النمل: 21. يقال:

إنه قيل له: يا نبي الله، وأي عذاب هذا الذي يوازي
الذبح؟ قال: أضعه مع قوم لا يعرفون قدره. والأحرار لا
يقتلهم شيء مثل أن يوضعوا في موضع لا يعرف من
حولهم فيه قدرهم، ولهذا فإن إخوة يوسف، وأولئك الذين
وجدوا يوسف في البئر - وهو نبي الله ابن نبي الله ابن

نبي الله ابن خليل الله- لم يأبهوا له وبيع ﴿يَسْمَنُ بِحَسَبِ﴾
 دَرَهُمْ مَعْدُودَةٌ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿يوسف: 20﴾ . هنا
 قال نبي الله: ((لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّكَ))، لكن
 العاقل يضع لنفسه خط رجعة، لهذا قال سليمان: أَوْ
 لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ [النمل:21]، أي: أن يأتي بعلوم،
 فلا ذبح ولا عذاب. قال الله جل وعلا: فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ
 [النمل:22]، أي: لم تمض مدة زمنية كافية، فإذا بالهدهد
 بين يدي سليمان، فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ
 سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ [النمل:22]. الغيب لا يعرفه إلا الله، فهذا نبي
 الله ابن نبي الله ولديه ملك وجن يخدمونه وغابت عنه
 مملكة بأكملها عرفها طائر من الطيور، ((فَقَالَ أَحَطْتُ
 بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ)) . ثم قال: إِنِّي
 وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [النمل:23]،
 أي: مما يؤتى الملوك عادة، فكل وإن كانت من ألفاظ
 العموم لكن السياق يدل على المعنى المراد منها، فلا
 يعقل أن بلقيس لا يوجد شيء في الدنيا إلا وهو عندها؛
 فإن ملك سليمان أعظم من ملكها، لكن مما جرت أن
 يكون في قصور الملوك موجود عندها. إلا أن الهدهد
 أنكر عليهم أنهم عبدوا الشمس من دون الله، وتعجب
 وهو على فطرته كيف يتأتى لقوم أن يعبدوا ويشركوا
 مع الله جل وعلا غيره. فلهذا قال: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي﴾

يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ النمل: 25. ومن لطائف التفسير كما يقول العلماء:

إن الإنسان يخبر عادة بالشيء الذي يعرفه، فالهدهد له علاقة بالحب؛ لأنه يأكله، فلما أراد أن يعرف بربه، قال: ((يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ))؛ لأنه هذا الذي يناسب البيئة التي يعرفها الهدهد. وقد تلقى سليمان هذا الخبر من الهدهد بحكمة، ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ النمل: 27 لأن قول الهدهد يقبل الصدق والكذب.

قال تعالى: ﴿ أَذْهَبَ بِكُنْيَتِي هَذَا فَأَلْفَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ النمل: ٢٨، خرج الهدهد بالكتاب الذي كتبه سليمان، ودخل قصر بلقيس ووضعه في ناحية بطريقة مؤدبة، وأهل الصناعة العقلية يقولون: إن العاقل يعرف أو الرجل يعرف بثلاثة أمور: بكتابه، بهديته، برسوله الذي يبعث. فقامت هذه المرأة فقالت لقومها: ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّْ

كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ النمل: 29-30، فقدم سليمان هنا اسمه على اسم الله؛ لأنه يخاطب قوماً وثنيين وعباد شمس، وليسوا أهل كتاب يعرفون الله، فحتى يلقي فيهم الهيبة، وينظرون إلى رسالته ولا يهملونها ولا يطرحونها فتكون هناك

مصلحة دعوية أكبر قال: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَنُؤِنِّي مُسْلِمِينَ ﴿ النمل: 30-31، والمرأة كانت عاقلة: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿ النمل: ٣٢، أصابتهم عزة وأرادوا أن يظهروا لها أنهم معها في السراء والضراء: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ))، رأت أن تبعث بهدية؛ فترى ردة فعل سليمان. ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿ النمل: 35، منها أنها تهدئ من غضبه، ومنها أن هؤلاء الرسل الذين يحملون الهدايا يطلعون على ملك سليمان فيقدمون لها تصوراً كاملاً قبل أن تتخذ قراراً. أخذوا الهدايا، قال الله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ ﴿ النمل: 36 أي: جاء الرسل سليمان

قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ [النمل:36] أي: الإسلام،
 ﴿ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ فَرِحُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ
 بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿ النمل: 36 -
 37. ثم بدا لسليمان أن يرى مزيد فضل الله عليه، فقال
 لمن حوله: ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ النمل: 38،
 فاختصم عنده اثنان. قال الله: ﴿ قَالَ عِفْرِيثُ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ ﴿ النمل:
 39 لديه قوة، لكن ليس لديه علم: ﴿ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ
 مِنْ مَّقَامِكَ ﴾ ﴿ النمل: 39. أي: لا تكاد تنتهي من هذا المجلس
 الذي أنت فيه إلا وعرش بلقيس عندك. وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
 أَمِينٌ * ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ
 طَرْفُكَ ﴾ ﴿ النمل: 39، وهذا أسرع، لكنه في غالب الظن -
 عندي والعلم عند الله- جني أوتي علماً، فجمع ما بين
 القوة العلمية والقوة الجسدية. فَلَمَّا رَأَاهُ [النمل:40] أي:
 رأى سليمان العرش مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ [النمل:40] نسب الفضل
 إلى الله، وكذلك المؤمن النقي التقى إذا رأى النعمة في
 نفسه وفي ماله أو ولده أو أهله أو أي شيء حوله نسبها
 إلى ربه جل وعلا. قَالَ ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ

أَكْفُرُوا مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴿النمل: 40﴾ فهو الذي يدخل الجنة إذا شكر وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ [النمل: 40].
 فالله جل وعلا لا تنفعه طاعة طائع ولا تضره معصية عاص، ولا يبلغ مدحته قول قائل، تنزهه عن الصاحبة والولد، وتقديس فلم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. فالمقصود أن سليمان أراد أن يختبر بعد ذلك ذكاء بلقيس . قَالَ نَكَّرُوا لَهَا عَرْشَهَا [النمل: 41] أي: غيروا في العرش، فلما جاءت بلقيس سألتها سليمان: أَهَكَذَا عَرْشُكَ [النمل: 42]؟ لأنها تركته وراءها في صنعاء، وكانت ذكية، قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ [النمل: 42]، وهذا جواب بتعبيرنا اليوم: دبلوماسي؛ لأنه لو قالت: ليس بعروشي، لقال لها: كيف لا تعرفين عرشك؟ ولو قالت: هو عروشي، لقال لها: كيف كان عرشك، لم يكن على هذه الحال.

فالسباق يدل على أنها كانت فطنة. قال الله جل وعلا: وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا [النمل: 42] أي: سليمان، وَكُنَّا مُسْلِمِينَ [النمل: 42] وهذا أعظم فخراً وأشد موثلاً وأعظم اتكاء. وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ [النمل: 43] أراد أن يدعوها إلى الله، وهذه غاية ومهمة ووظيفة عظمى؛ لكن هذه ملكة ينبغي أن تدعى بما يناسب حالها، فأمر الجن أن يبنوا له صرحاً ممرداً من قوارير. ثم لما أحكم البنيان، والصرح الممرد بني على البحر، قال الله جل وعلا: قِيلَ لَهَا ادْخُلِي

الصَّرْحَ [النمل:44]، فلما دخلت الصرح، قال الله: فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً [النمل:44] أي: حسبت هذا الصرح بحراً، واضطرت إلى أن تتعامل مع اللجة بأن تكشف عن ساقبها حتى لا تتضرر ثيابها، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِبِهَا [النمل:44] هنا قال لها سليمان: إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ [النمل:44]. وهي ملكة وتعرف إلى أي حد ومدى يصنع الخدم والعبيد والقادة القصور لمملوكهم، وليست جاهلة بهذا الوضع، لكن ما تراه الآن ليس أمراً مألوفاً، لا بد أن هناك من يعين سليمان وينصره ويعيذه وهو الله، فكان وقع هذه الطريقة عليها عظيماً، وكان ذلك سبباً في إسلامها..... .

وقفة مع إسلام ملكة سبأ قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ النمل: 44. وهذا من أعظم طرائق الدعاء.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ النمل: 44. ولننخ المطايا هنا لنعرف عظيم صبر الله الذي أخرج هذه المرأة من أرض اليمن هو الحفظ على ملكها وعرشها، فأورثها الله جل وعلا الهداية في قلبها وأن تموت على الإسلام، فانظر الدافع في الخروج والغاية التي كانت تريدها، ثم انظر ما النوال الذي أعطيت، وما الفود الذي عادت به، ((قَالَتْ رَبِّ إِنِّي

ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))،
فأصبحت مؤمنة بعد أن كانت كافرة. وأنت ترى فضل
الله الواسع في بلادنا، فكثير من العمال والمهندسين
وغيرهم يأتون إلى بلادنا طلباً للقامة العيش، ممن ليسوا
على دين الإسلام من شتى أقطار الأرض، ويمن الله جل
وعلا على كثير منهم بالإسلام فيؤمنون، فانظر لماذا
أتوا وماذا كسبوا وبما سيعودون، أما من من الله عليهم
بالهداية وماتوا بعد ذلك عليها فهذه نعمة عظيمة
واصطفاء واجتباء، فربما لو مكث في بلاده لما عرف
الدين ولما آمن، لكن لما قدر له أن يأتي طلباً للرزق من
الله عليه بالهداية إليه. هذا ما تيسر إرادته، وتهيأ إعداده،
وأعان الله على قوله حول قول الله جل وعلا: ﴿وَحِشْرَ
لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ النمل: 17.
وصلى الله على محمد وعلى آله والحمد لله رب
العالمين.....

1) هاء الرفع

- هاء الرفع: هي الهاء المضمومة في كلمة (عليه) في
قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ

أَيْدِيهِمْ^٤ فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ^٥ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ

فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿الفتح: 10﴾ .

الأصل أن تكون الهاء في « عليه » مكسورة، ولكن جاءت هنا مضمومة، والضم علامة الرفع ، والمقام مقام رفعة ، فكان الرفع أصابت الهاء في « عليه » فكان من غير المناسب أن تبقى مكسورة ، لأن الكسرة لا تناسب هذا الجو، لذلك تحولت الكسرة إلى الضمة علامة الرفع ، انعكس الجو على حركة الهاء، والآية أيضاً تتحدث عن الوفاء بالعهد والبيعة، ولما كان الوفاء بالبيعة دليل على صدق المبايع ، وعلو همته، ورفعة نفسه، وسمو خلقه، لذا جاءت الهاء مضمومة، وكأن علامة الرفع جاءت من قوله تعال : يد الله فوق أيديهم .

هاء الخفض: وهناك هاء أخرى في القرآن الكريم، تقابل هاء الرفع، وهي هاء الخفض، وهي الهاء التي دخل عليها حرف الجر «في» في قوله تبارك وتعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا).

فقد نص علماء القراءات والتجويد على إشباع كسرة الهاء في قوله تعالى: ويخلد فيه مهاناً فتقرأ هكذا (ويخلد فيهي مهاناً) بالإشباع مع أن الهاء في مثيلاتها

يكتفى بكسرتها، فلماذا مدت الهاء هنا أكثر من حركتين، إن وراء الهاء سرّاً دفيناً وعجيباً، وهو أن الذي دعا إلى هذا هو السياق الذي وردت فيه، فقد سبقها ذكر مجموعة من المعاصي والفواحش التي لا يفعلها عباد الرحمن، ثم ذكرت الآيات ما يترتب على هذه الكبائر من عقوبة، وهي العذاب المضاعف مهاناً ذليلاً خاسئاً، ولما نقرأ الآية ونصل إلى قوله تبارك وتعالى: ويخلد فيه مهاناً يصور الله تعالى لنا المشهد المهيب وكأننا نلحظ بأبصارنا إلقاء صاحب تلك المعاصي وهو يهوي في قاع جهنم، وحينما نمُدُّ الهاء في «فيه» أكثر من حركتين، كأن نفس القارئ ينزل إلى أسفل نحو رنتيه، وبذلك يساعد على الإنزال والخفض، وكأننا بهذا المد الخاص هنا فقط نساعد على إنزال المجرم في هوة جهنم، ومسارعة سقوطه فيها.

وسارعوا.....سابقوا....

قال الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: 133.

وقال سبحانه في سورة الحديد: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾
الحديد: 21.

والناظر في الآيتين يلحظ الفرق بينهما:

ففي الآية الأولى قال سبحانه: {وَسَارِعُوا}، وفي الثانية قال: {سَابِقُوا}.

وفي الآية الأولى قال سبحانه: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ}، وفي الثانية قال: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}.

وفي الآية الأولى قال سبحانه: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}، وفي الثانية قال: {أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ}.

هذا الفرق بين الآيتين اقتضاه السياق الذي وردتا فيه، ذلك أن الآية الأولى تتعلّق بالمتقين، وأما الآية الثانية فتتعلّق بالمؤمنين. ولما كانت التقوى وهي نتاج الإيمان أعظم درجاته وأرقى رتبته، كانت أفضل من مجرد الإيمان؛ لأنها تتضمنه وزيادة، وكان التقي أفضل من المؤمن العادي. وقد بيّن الله واقع المتقين الذين أعدت لهم جنة عرضها السماوات والأرض فقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ

فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَظِيمِ الْفَيْضِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا

أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ

وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٤﴾ آل عمران: 134 -

.135

وإذا كانت التقوى أعلى رتبة من مجرد الإيمان، فقد لزم إذن التفرقة بين المتقين وبين المؤمنين. وتتجلى هذه التفرقة في الآيتين في موضعين: الأول في الخطاب، والثاني في الثواب.

أما الخطاب، فقد خاطب الله تعالى المتقين بدعوتهم إلى المسارعة (وسارعوا)، بينما خاطب المؤمنين بدعوتهم إلى المسابقة (وسابقوا). والفرق بينهما هو: أن المتقين في تنافس وسباق، لذلك لم يحثهم عليه لحصوله منهم، إنما حثهم على مزيد منه وحضهم على الأحسن منه، فحسن هنا أن يخاطبهم بالمسارعة. وعلى خلاف ذلك، فإن المؤمنين لم يحصل منهم التقدم في الرتبة، والارتفاع بالمكانة، لذلك حثهم على السباق ابتداءً، فإذا حصل منهم شملهم الخطاب الداعي إلى الإسراع.

أما الثواب، فقد اختلف باختلاف الرتب. ففي الآية الأولى حينما خاطب الله سبحانه المتقين قال: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}، وفي الآية الثانية حينما خاطب المؤمنين بعامة قال: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}. والفرق بينهما يكمن في كون الآية

الأولى المتعلقة بالمتقين لم ترد بصيغة التشبيه للدلالة على أنّ هذا الثواب الموعود لا يضاهاى ولا يماثل ولا يشابه. علاوة على هذا ففي الآية الأولى (عَرَضُهَا السَّمَوَاتُ) وفي الثانية (عَرَضُهَا كَعَرَضِ السَّمَاءِ) وهذا يتضمّن الفرق بين الجنّتين من حيث السعة.

والحكمة في هذا والله أعلم تتعلّق بأمرين:

الأول: أنّ على قدر الأعمال يكون الجزاء. فأعمال المتقين أعظم من أعمال المؤمنين، لذلك كان ثوابهم أعظم.

الثاني: أنّ ثواب المؤمنين حاصل لدى المتقين بما قدّموا، ولكن لما حتّم الحقّ سبحانه وتعالى على المزيد حسن هنا أن يعطيهم المزيد، فكان الحثّ على تقديم الأفضل مقترنا بالوعد بالأفضل. والله أعلم.

الفرق بين الغلام والولد:

-في سورة آل عمران قال تعالى على لسان الملائكة :

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ آل عمران: 45.

وهنا أجابت مريم : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي

بَشْرًا ﴾ آل عمران: وفي سورة مريم قال تعالى على لسان

رسوله إلى مريم: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا
زَكِيًّا ﴾ مريم: 19، وهنا أجابت مريم: ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴾ مريم: 20.

أولاً : لا بدّ أن نعرف أن الولد أعم من الغلام فالولد
يشمل الذكر والأنثى والمفرد والجمع أما الغلام فهو
لمفرد الذكور.

ثانياً : في سورة آل عمران جاء الخطاب إلى مريم من
الملائكة وأما في سورة مريم فجاء الخطاب من الرسول
وهو واحد فقط وأيضاً في سورة آل عمران جاء التبشير
بصيغة العموم (كلمة) أما في سورة مريم فجاء التبشير
بصيغة الخصوص (غلام).

ثالثاً : لما كان النداء لمريم من جمع الملائكة وبصيغة
العموم كان جوابها بصيغة العموم (ولد) ولما كان النداء
لها من الرسول وبصيغة الخصوص كان الجواب منها
بصيغة الخصوص (غلام)

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا
وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنْكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة: 128 .

فهرس

3الاهداء
9 سورة البقرة: الجسم .. و.. الجسد
12 - الكره ... و ... الكره
15 - قل
20 - أُمَّةً وَسَطًا
20 - الصوم
24 - الفرق بين وجدنا وألفينا
29 سورة المائدة: وَالسَّارِقُ ... وَالسَّارِقَةُ
33 سورة الأنعام: الفرق بين قوله تعالى: من إملاق وخشية إملاق.
38 سورة الكهف: ملاحظات عامة على السورة
45 سورة طه: لطائف قرآنية
46 سورة النور: الزانية والزاني
48 سورة لفرقان: هاء الخفض:
50 سورة الجن: القاسط .. و...المقسط
61 سورة العنكبوت: فاندتان من سورة العنكبوت
65 سورة القصص: فاندتان:
72 سورة النحل: مَيِّت ... و ... مَيِّت:
77 سورة القدر: معجزات عديدة
89 وسارعوا...سابقوا
92 الفرق بين الغلام والولد:

فهرس

3 الإهداء
9 سورة البقرة: الجسم .. و.. الجسد
12 - الكره .. و .. الكره
15 - قل
20 - أُمَّةٌ وَسَطًا
20 - الصوم
24 - الفرق بين وجدنا وألفينا
29 سورة المائدة: وَالسَّارِقُ ... وَالسَّارِقَةُ
33 سورة الأنعام: الفرق بين إملاق وخشية إملاق
38 سورة الكهف: ملاحظات عامة على السورة
45 سورة طه: لطائف قرآنية
46 سورة النور: الزانية والزاني
48 سورة لفرقان: هاء الخفض
50 سورة الجن: القاسط .. و.. المقسط
61 سورة العنكبوت: فائدتان من سورة العنكبوت
65 سورة القصص: فائدتان
72 سورة النحل: مَيْتٌ ... و ... مَيْتٌ
77 سورة القدر: معجزات عديدة
89 وسار عوا..... سابقوا
92 الفرق بين الغلام والولد